لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧)

مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطلب والإرادة

ويليه

مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق

ويليه

مفتاح طريق المحبين وباب الأنس لرب العالمين

تأليف
الإمام الزاهد الناسك والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم
دار البشائر الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(2).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سُورة النِّساء: الآية ١.

(٣) سُورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.

أمَّا بعدُ:

(فإنَّ العبد إذا فتح الله بصيرته في فُنون العُلوم؛ وأمدَّه بصفاء العقل ونوافذ الفُهوم، وارتضع من العُلوم الشَّرعيَّة أكمل الرَّضاع؛ وصار له من كُسوتها أحسن القناع، ونفذ فكره في تفاصيل الأمر والنَّهي، وعرف طريق ردِّ الحوادث إلى الأُصول: فحقيقٌ به أن يكتسي ملابس أعمالها، ويذوق رائق أشربتها وحقائق أحوالها، فكمال العبد مُتوقِّفٌ على ذلك؛ لأنَّ كمال العبد إنَّما يتمُّ بكمال عُبوديَّته لله عزَّ وجلَّ)(١).

وهذه مفاتيح العَالِم النَّاصحِ؛ ونصائح المُعلِّم الصَّالح: عماد الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيِّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين؛ رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت كُلَّ شيءٍ وكُتبت لعباده المُؤمنين، وأرفقه بالذين أنعم عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين.

ولمَّا يسَّر الله تعالى لي بمنِّهِ وإفضالِهِ؛ وسهَّل بكرمِهِ وجُوده ونوالِهِ: الوُقوفَ على هذه الرَّسائل اللَّطيفة؛ المُشتملة على هذه المفاتيح المُنيفة: وجدتُّها قد جمعت أُصول الاعتقاد وقواعد التَّعليم؛ وأركان التَّأديب ومبادئ السُّلوك وأُسس التَّقويم.

فألفيتُها بعد نَضْرَةِ النَّظرِ إليها؛ وحسبتُها بعد الاطِّلاع عليها: رسائل ماتعة؛ ومفاتيح نافعة، فعمدت إلى العناية بها تحقيقاً؛ واجتهدت بالرِّعاية لها تعليقاً، ليعظم بها بمشيئة الله تعالى بعد الطَّبع: الأجر والمثوبة والفائدة والنَّفع.

---

(١) مدخل أهل الفقه واللِّسان إلى ميدان المحبَّة والعرفان لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٤٦ ــ ٤٧).

وقد رأيتُ أن أُقدِّم بين يدي هذه الرَّسائل الفريدة: التَّعريف بالمُؤَلِّف والمُؤَلَّف بمُقتضب المقالة المُفيدة.

واللهَ سُبحانه وتعالى؛ المسؤول فضله العظيم؛ والمأمول نفعه العميم: أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مُدنياً لمُؤلِّفه ومُحقِّقه وقارئه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة لهم لا عليهم؛ وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وإليه الملجأ والاستناد، وعليه التَّوكل والاعتماد، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليه، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليه.

إنَّه سُبحانه خير مسؤولٍ؛ وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حرره بكلمه؛ وزبره بقلمه:

أفقر الورى إلى غنى ربِّه العليِّ:

وليد بن محمد بن عبد الله العلي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه ولذريَّته ولسائر المُسلمين

جامعة الكويت

كُليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

قسم العقيدة والدَّعوة

يوم الجُمعة ١ ذو الحجَّة ١٤٣٢هـ

الموافق ٢٨ أُكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١١م

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلِّفِ(١)

اسمه ونسبه:

هو: الشَّيخ العالم الإمام؛ الزّاهد العابد الهُمام، العارف النَّاسك؛ القُدوة السَّالك: عماد الدِّين؛ أبو العبَّاس؛ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن مسعود بن عُمر الحزَّاميُّ؛ الواسطيُّ؛ البغداديُّ؛ ثُمَّ الدِّمشقيُّ، الذي عُرف بأنَّه: ابن شيخ الحزَّاميِّين.

---

(١) انظر التَّعريف به في المصادر الآتية ـ مُرتَّبةٌ وفق التَّسلسل الزَّمنيِّ لمُؤلِّفيها ـ: المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩ ـ ٢٠)، العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩٠)، الإعلام بوفيَّات الأعلام للذَّهبيِّ (ص٢٩٩)، تذكرة الحُفَّاظ له (٤/ ١٤٩٥)، ذيل العبر له (٤/ ٢٩)، ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام له (ص١٠٩)، مُعجم الشُّيوخ له (١/ ٢٩ ـ ٣٠): ترجمة (٥)، المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم له (ص٢٢٤)، أعيان العصر وأعوان النَّصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤): ترجمة (٦٦)، الوافي بالوفيَّات له (٦/ ٢٢١): ترجمة (٢٦٨٩)، مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠)، الذَّيل على طبقات الحنابلة لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، القاموس المُحيط للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة (حزم)، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين الدِّمشقيِّ (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٧)، الرَّد الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر له (ص١٢٩ ـ ١٣١): ترجمة (٣٢)، الدُّرر الكامنة في أعيان =

والحزَّاميُّون: نسبة إلى الحزَّامين ـ بفتح الحاء والزَّاي وتشديدها ـ(1)، محلَّةٌ في شرقيِّ واسطٍ(2)، وهي واسعةٌ كبيرةٌ.

= المائة الثَّامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١): ترجمة (٢٤٠)، المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (١/ ٢١٠ ـ ٢١١): ترجمة (١٠٧)، الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي له (١/ ٣٥): ترجمة (١٠٦)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مُفلح (١/ ٧٣): ترجمة (٥)، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥): ترجمة (١١٩٣)، الدُّر المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد له (٢/ ٤٦١)، القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة لابن طُولون (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٦/ ٢٤ ـ ٢٥)، تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٣): مادَّة حزم، هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين للبغداديِّ (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب لابن ضُويَّان (ص٢٩٣ ـ ٢٩٤)، الأعلام للزِّركليِّ (١/ ٨٦ ـ ٨٧)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٧ ـ ٩٤٩)، عُلماء الحنابلة لبكر أبو زيد (ص٢٢٦): ترجمة (١٧٨٨)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للأُستاذ الدُّكتور عبد الله الطُّريقيِّ (٣/ ٣١١ ـ ٣١٥).

(١) انظر في ضبطها: الأنساب للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، المُشتبه للذَّهبيِّ (ص٢٢٤)، القاموس المُحيط للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة (حزم).

(٢) واسطٌ: اسمٌ يقع على عدَّة مواضع، وأعظمها وأشهرها: مدينة واسطٍ التي عمَّرها الحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيُّ سنة ثلاثٍ وثمانين، وهي المُشار إليها، وسُمِّيت بذلك: لتوسُّطها بين البصرة والكُوفة، كما في: مُعجم ما استعجم للبكريِّ (٤/ ١٣٦٣)، مُعجم البُلدان للحمويِّ (٤/ ٣٤٧)، الرَّوض المعطار في خبر الأقطار للحميريِّ (ص٥٩٩).

كما يُطلق الحزَّامون: على الذين يحزمون الكاغد[1] [2]، أو يحزمون الأمتعة ويشدُّونها[3]، والله أعلم.

ولادته ونشأته:

وُلِد ابن شيخ الحزَّاميِّين رحمه الله تعالى في حادي عشر ـ أو ثاني عشر ـ شهر ذي الحجَّة الحرام سنة سبعٍ وخمسين وستُّمائةٍ بشرقيِّ واسطٍ.

وكان والده الشَّيخُ أبو إسحاق شيخَ الطَّائفة الأحمديَّة[4]، وقد نشأ ابن شيخ الحزَّاميِّين بينهم.

---

(١) الكاغد: هُو القرطاس ـ فارسيٌّ مُعرَّبٌ ـ، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ (٩/ ١١٠): مادَّة (كغد).

(٢) انظر: الأنساب للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، اللُّباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١/ ٣٦٢)، تاج العروس للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٥): مادَّة (حزم).

(٣) انظر: مُعجم البُلدان للحمويِّ (٢/ ٢٥٢).

(٤) الطَّائفة الأحمديَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي العبَّاس أحمد بن عليِّ بن رفاعة الحُسينيِّ؛ المولود في قرية حسن ـ من أعمال واسط ـ بالعراق في أوَّل مُحرَّمٍ سنة خمسمائةٍ، والمُتوفَّى في قرية أمِّ عُبيدة ـ بين واسطٍ والبصرة ـ في يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الأُولى سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائةٍ، وتُسمَّى باسم الرِّفاعيَّة؛ وهو الاسم الذي غلب عليها: نسبة إلى أحد أجداد الشَّيخ أحمد، كما تُسمَّى باسم البطائحيَّة: نسبة إلى مسقط رأس الشَّيخ أحمد ببطائح واسط بالعراق، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

وكان رحمه الله تعالى (يرتزق من النَّسخ؛ وخطُّه حسنٌ جدًّا)[1]، (ولا يكاد يقبل من أحدٍ شيئاً إلا في النَّادر)[2]، وكان مع ذلك (لا يكتب إلا مقدار ما يدفع به الضَّرورة)[3].

قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى: (وكتب المنسوب[4] حتَّى أخمل[5] الحدائق، وأتى في طرسه[6] بكُلِّ سطرٍ على العقد فائق)[7].

مُعتقده ومسلكه:

قد أُلهم رحمه الله تعالى (من صغره طلب الحقِّ ومحبَّته؛ والنُّفور عن البدع وأهلها)[8]، فاجتمع بطوائف عدَّةٍ؛ (ولم يسكن قلبه

---

(١) الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١).

(٢) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).

(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).

(٤) خطٌّ منسوبٌ: ذُو قاعدةٍ، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ (٤/ ٢٦٤): مادَّة (نسب).

(٥) قال ابن السِّكِّيت: (قال أبوصاعدٍ: الخميلة: الشَّجر المُجتمع الذي لا ترى فيه الشَّيء إذا وقع في وسطه)، كما في تهذيب اللُّغة للأزهريِّ (٧/ ٤٢٩): مادَّة (خمل).

(٦) قال اللَّيث: (الطِّرْس: الكتاب الممحو الذي يُستطاع أن تُعاد عليه الكتابة، وفعلك به: التَّطريس)، كما في تهذيب اللُّغة للأزهريِّ (١٢/ ٣٢٩): مادَّة (طرس).

(٧) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

(٨) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

إلى شيءٍ)[1] منها، فاجتمع بفُقهاء واسطٍ؛ وبغداد؛ ومكَّة؛ والقاهرة، ثُمَّ رحل إلى الإسكندريَّة؛ فاجتمع هُناك بالطَّائفة الشَّاذليَّة[2]، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة والسُّلوك، فأخذ عنهم؛ واقتفى طريقتهم وهديهم.

وكان رحمه الله تعالى في هذه الحِقبة الزَّمنيَّة من عُمره: مُضطرباً ببعض الأُصول ومُتحيِّراً في شيءٍ من مسائل الاعتقاد؛ حتَّى أراه الله تعالى الحقَّ ورزقه اتِّباعه وهداه إلى سبيل الرَّشاد، كما أشار رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله: (كُنت بُرهة من الدَّهر مُتحيِّراً في ثلاث مسائل: مسألة الصِّفات؛ ومسألة الفوقيَّة؛ ومسألة الحرف والصَّوت في القُرآن المجيد، وكُنت مُتحيِّراً في الأقوال المُختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصِّفات وتحريفها؟ أو إمرارها؟ أو الوُقوف فيها؟ أو إثباتها بلا تأويلٍ ولا تعطيلٍ؛ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ؟)[3].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال: حتَّى لطف الله بي،

---

(١) الذَّيل لابن رجب (٢/ ٣٦٠).

(٢) الطَّائفة الشَّاذليَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي الحسن عليِّ بن عبد الله الهُذليِّ الشَّاذليِّ ـ نسبة إلى شاذلة في المغرب ـ؛ المُتوفَّى أوائل شهر ذي القعدة سنة ستٍّ وخمسين وستُّمائةٍ، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

(٣) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٦ ـ ١٧).

وكشف لهذا الضَّعيف عن وجه الحقِّ: كشفاً اطمأنَّ إليه خاطره، وسكن به سِرُّه، وتبرهن الحقُّ في نُوره)[١].

وكان تخلِّيه رحمه الله تعالى عن هذه المذاهب والأقوال بعد قُدومه دمشق؛ والتقائه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى وصُحبته له، حيث دلَّه على مُطالعة السِّيرة النَّبويَّة، فأقبل عليها؛ وعلى مُطالعة كُتب الحديث والسُّنَّة والآثار، حتَّى صار (داعية إلى السُّنَّة ومُتابعة الآثار)[٢]؛ (مُحبًّا لأهل الحديث؛ مُعظِّماً لهم)[٣]، (ومذهبه مذهب السَّلف الصَّالح في الصِّفات؛ يُمرُّها كما جاءت)[٤].

وكان حسن العهد بشيخ الإسلام ابن تيميَّة مُثنياً عليه، ومُضيفاً كُلَّ صفةٍ حسنةٍ ومنقبة مُستحسنةٍ إليه، فمن ذلك قوله: (شيخنا السَّيِّد الإمام؛ الأُمَّة الهُمام، مُحيي السُّنَّة وقاطع البدعة، ناصر الحديث، ومُفتي الفرق، الفائق عن الحقائق؛ ومُوصلها بالأُصول الشَّرعيَّة للطَّالب الذَّائق، الجامع بين الظَّاهر والباطن؛ فهُو يقضي بالحقِّ ظاهراً وقلبه في العُلى قاطنٌ، أُنموذج الخُلفاء الرَّاشدين؛ والأئمَّة المهديِّين، الذين غابت عن القُلوب سِيَرُهُم؛ ونَسِيَت الأُمَّة حذوهم وسُبُلَهُم، فذكَّرهم بها الشَّيخ، فكان في دارس نهجهم سالكاً، ولموات حذوهم مُحيياً؛ ولأعنَّة قواعدهم مالكاً، الشَّيخ الإمام: تقيُّ الدِّين؛ أبو العبَّاس؛

(١) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٣٢).
(٢) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).
(٤) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته)[١].

وقد انتفع بهديه و(تسلَّك به جماعةٌ، وأَلِفَ الضَّراعة من الرَّضاعة)[٢]، ثُمَّ شرع في الرَّدِّ على أرباب المذاهب العقليَّة الذَّميمة، واجتهد في التَّحذير من أصحاب الأقوال السَّقيمة، فبيَّن عوارهم؛ وكشف أستارهم.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (جالسته مراراً وانتفعت به، وكان مُنقبضاً عن النَّاس؛ حافظاً لوقته[٣]، تسلَّك به جماعةٌ، وكان ذا ورعٍ وإخلاصٍ، ومُنابذةٍ للاتِّحاديَّة وذوي العُقول)[٤].

مذهبه الفقهيُّ:

أقبل رحمه الله تعالى على التَّفقُّه في الدِّين؛ وبرز فيه، وصارت (له مُشاركةٌ في العُلوم)[٥]، وزاحم في شتَّى (الفضائل، وصحب الكبار)[٦].

وقد (تفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ)[٧] رحمه الله تعالى، (ونظر في

---

(١) التَّذكرة والاعتبار لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٩ ـ ٢٠).
(٢) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).
(٣) سقطت كلمة (لوقته) من الوافي بالوفيَّات، واستدركتها من الدُّرر الكامنة.
(٤) حكاه الصَّفديُّ في الوافي بالوفيَّات (٦/ ٢٢١).
(٥) ذيل العبر للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).
(٦) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٧) الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١).

الرَّوضة والرَّافعيِّ[1])[2]، كما أشار إلى ذلك بقوله: (لأنِّي على مذهب الشَّافعيِّ رحمه الله تعالى، عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه)[3].

ثُمَّ تحوَّل و(انتقل إلى مذهب الإمام أحمد)[4] رحمه الله تعالى[5]، فقرأ على شيخ المذهب مجد الدِّين إسماعيل بن مُحمَّد الحرَّانيِّ رحمه الله تعالى كتاب (الكافي) للمُوفَّق ابن قدامة رحمه الله تعالى، (واختصره في مُجلَّدٍ)[6].

ثناء العُلماء عليه:

كان رحمه الله تعالى قد كُسي بثناء عُلماء عصره وفُقهاء مصره عليه، فجادت ألسنة صدقهم بالثَّناء والدُّعاء وجاءت مدائحهم تسعى إليه، فمن ذلك:

١ ـ كان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

---

(١) أي: تفقَّه في مذهب الشَّافعيِّ على كتاب (الفتح العزيز في شرح الوجيز) للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن مُحمَّد الرَّافعيِّ القزوينيِّ (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ)، وعلى مُختصره (روضة الطَّالبين وعُمدة المُفتين) للإمام أبي زكريَّا يحيى بن شرف النَّوويِّ الدِّمشقيِّ (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ).

(٢) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٣) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٨).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٥) انظر: العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل لبكر أبو زيد (ص٤٥)، المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل له (١/ ٥٦٩).

(٦) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

يُعظِّمه ويُجلِّه، ويقول: (هُو جُنيد[1] وقته. وكتب إليه كتاباً من مصر؛ أوَّله: إلى شيخنا الإمام العارف القُدوة السَّالك)[2].

٢ ـ قال الحافظ البرزاليُّ رحمه الله تعالى (٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ): (رجلٌ صالحٌ عارفٌ، صاحب نُسكٍ وعبادةٍ؛ وانقطاعٍ وعُزوفٍ عن الدُّنيا، وله كلامٌ متينٌ في التَّصوُّف الصَّحيح، وهُو داعيةٌ إلى طريق الله تعالى)[3].

٣ ـ قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى (٧٠٥ ـ ٧٤٤هـ): (كان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشَّأن، مُنقطعاً إلى الله، مُتوفِّراً على العبادة والسُّلوك)[4].

٤ ـ قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): (شيخنا القُدوة العارف)[5]. ويقول: (كان من سادة السَّالكين)[6].

---

(١) هُو أبو القاسم الجُنيد بن مُحمَّد الخرَّاز القواريريُّ النَّهاونديُّ ثُمَّ البغداديُّ، المُتوفَّى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين.
قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٣/ ٣٢٨)]: (قال سيِّد الطَّائفة وشيخهم الجُنيد بن مُحمَّد رحمه الله: الطُّرق كُلُّها مسدودةٌ على الخلق؛ إلا على من اقتفى آثار الرَّسول ﷺ. وقال: من لم يحفظ القُرآن ويكتب الحديث: لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمنا مُقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة. وقال: مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بأُصول الكتاب والسُّنَّة).

(٢) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٣) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٤) العُقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

(٥) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٦) ذيل العبر للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).

٥ ـ قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): (لقي المشايخ وتعبَّد، وترك الرِّئاسة وتزَّهد، وقطع العوالق وتجرَّد)[١].

٦ ـ قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ): (كان له مُشاركةٌ جيِّدةٌ في العُلوم، وعبارةٌ حسنةٌ قويَّةٌ، وفهمٌ جيِّدٌ، وخطٌّ حسنٌ في غاية الحُسن. وكان معمور الأوقات في الأوراد والعبادات، والتَّصنيف والمُطالعة، والذِّكر والفكر، مصروف العناية إلى المُراقبة والمحبَّة، والأُنس بالله، وقطع الشَّواغل والعوائق عنه، حثيث السَّير إلى وادي الفناء بالله، والبقاء به، كثير اللَّهج بالأذواق والتَّجلِّيات والأنوار القلبيَّة، منزوياً عن النَّاس، لا يجتمع إلا بمن يُحبُّه ويحصل له باجتماعه به منفعةٌ دينيَّةٌ)[٢].

٧ ـ قال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ): (كان زاهداً عابداً، داعية إلى الله)[٣].

مُولَّفاته:

كان رحمه الله تعالى صاحب (عبارةٍ عذبةٍ)[٤]؛ سبك بُحسن أدبها ما (يُتحلَّى بقلائده، وتتجلَّى محاسنه في فرائده)[٥].

---

(١) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).
(٢) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).
(٣) الرَّدُّ الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠).
(٤) ذيل العبر للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).
(٥) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

ولمَّا كان (قلمه أبسط من عبارته)[1]: اعتنى بالتَّصنيف، حيث (صنَّف في السُّلوك والمحبَّة)[2] مُصنَّفاتٍ و(تواليف نافعة)[3]، وغالب هذه المُصنَّفات في الحثِّ على (اقتفاء السُّنَّة؛ وطريق التَّصوُّف على السُّنَّة؛ والرَّدِّ على طوائف من المُبتدعة كالاتِّحاديَّة وغيرهم)[4]، وكلامه (في التَّصوُّف عجيبٌ)[5].

قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى: (ألَّف تآليف كثيرة في الطَّريقة النَّبويَّة؛ والسُّلوك الأثريِّ؛ والفقر المُحمَّديِّ، وهي من أنفع كُتب الصُّوفيَّة للمُريدين، انتفع بها خلقٌ من مُتصوِّفة أهل الحديث ومُتعبِّديها)[6].

ومن هذه المُؤلَّفات:

١ ـ **البُلغة**: اختصر فيه كتاب الكافي لابن قُدامة المقدسيِّ رحمه الله تعالى، وقد ذكره: ابن رجبٍ، وابن ناصر الدِّين، والعُليميُّ، وابن طُولون، وحاجي خليفة، والبغداديُّ، وابن العماد، وابن ضُويَّان، وكحَّالة، والبُرَديُّ، وأبوزيد، والطُّريقيُّ[7].

---

(١) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).
(٢) الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).
(٣) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٤) الرَّدُّ الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩).
(٥) توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦).
(٦) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).
(٧) انظر: الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩)، الرَّد الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩)، المنهج الأحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، الدُّر المُنضَّد له (١/ ٤٦١)، القلائد =

٢ ـ **البُلغة والإقناع في حلِّ شُبهة مسألة السَّماع**: (ألَّفه بدمشق سنة ثلاثٍ وسبعمائة)[١]، وقد ذكره: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ وأبو زيد؛ والطُّريقيُّ[٢].

٣ ـ **التَّذكرة والاعتبار؛ والانتصار للأبرار**: رسالةٌ كتبها وبعثها إلى أصحاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، (وأوصاهم فيها بمُلازمة الشَّيخ؛ والحثِّ على اتِّباع طريقته، وأثنى فيها على الشَّيخ ثناءً عظيماً)[٣]، وقد ذكره: ابن ناصر الدِّين؛ والطُّريقيُّ[٤]، وهُو مطبوعٌ[٥].

= الجوهريَّة لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، شذرات الذَّهب لابن العماد (٦/ ٢٤)، كشف الظُّنون لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١)، هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، المدخل المُفصَّل لبكر أبو زيد (٢/ ٧٣٩؛ ٩٨٦)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٢).

(١) كشف الظُّنون لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١).

(٢) انظر: هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، المدخل المُفصَّل لبكر أبو زيد (٢/ ٨٨٥؛ ٩٨٦؛ ١٠٥٢)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٣).

(٣) العُقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

(٤) انظر: الرَّد الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠ ـ ١٣١)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٥) اعتنت بطباعته دار العاصمة؛ بتحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ.

٤ ـ **السُّلوك والسَّير إلى الله تعالى**، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[١]، وهُو مخطوطٌ[٢].

٥ ـ **شرح منازل السَّائرين**: شرح فيه (أكثر منازل السَّائرين)[٣] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن مُحمَّد الأنصاريِّ الهرويِّ رحمه الله تعالى؛ (ولم يُتمَّه)[٤]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ وابن قيِّم الجوزيَّة[٥]؛ والصَّفديُّ؛ وابن رجبٍ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والعُليميُّ؛ وحاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وابن ضُويَّان؛ والزِّركِليُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[٦].

---

(١) انظر: مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) تُوجد منه نُسخةٌ خطيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (٤٧٠٩)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وهي مخرومة الأوَّل والآخر، كما في: فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)، (٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٥) انفرد تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى عمَّن سواه من المُترجمين بخصِّيصةٍ، حيث ضمَّن مواطن من هذا الشَّرح في [شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل: (١/ ٨٩ ـ ٩١)] فقال: (والذي يليق به [أي: يليق بكلام صاحب المنازل]: ما ذكره شيخنا أبو العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ رحمه الله في شرحه، فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام، فقال) ثُمَّ ساق قوله في ثلاث صفحاتٍ.

(٦) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، شفاء العليل لابن قيِّم الجوزيَّة (١/ ٨٩ ـ ٩١)، الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١)، الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠)، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، =

٦ ـ **مُختصر دلائل النُّبوَّة**، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والزِّركِليُّ؛ والطُّريقيُّ[١].

٧ ـ **مُختصر سيرة ابن إسحاق**: حيث (أقبل على سيرة ابن إسحاق ـ تهذيب ابن هشامٍ ـ؛ فلخَّصها واختصرها)[٢]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن تغري بردي؛ وابن مُفلحٍ؛ والعُليميُّ؛ وابن طُولون؛ وابن العماد؛ وابن ضُويَّان؛ وسزكين؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[٣].

= الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١)، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، المنهج الأحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، الدُّر المُنضَّد له (١/ ٤٦١)، كشف الظُّنون لحاجي خليفة (٢/ ١٨٢٨)، هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، الأعلام للزِّركليِّ (١/ ٨٧)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣)، الوافي بالوفيَّات له (٦/ ٢٢١)، الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١)، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، الأعلام للزِّركليِّ (١/ ٨٧)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٢) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، الوافي بالوفيَّات له (٦/ ٢٢١)، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥)، الرَّد الوافر له (ص١٢٩)، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، المقصد الأرشد لابن مُفلح (١/ ٧٣)، المنهج الأحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، الدُّر المُنضَّد له (١/ ٤٦١)، القلائد الجوهريَّة لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، شذرات الذَّهب لابن العماد (٦/ ٢٤)، رفع النِّقاب =

٨ ـ مدخل أهل الفقه واللِّسان؛ إلى ميدان المحبَّة والعرفان، وقد ذكره: حاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[(١)]، وهُو مطبوعٌ[(٢)].

٩ ـ مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق، وهي إحدى الرَّسائل الثَّلاث المُودعة في الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي لها بمشيئة الله تعالى: مزيد تعريفٍ وبيانٍ.

١٠ ـ مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة، وهي إحدى الرَّسائل الثَّلاث المُودعة في الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي لها بمشيئة الله تعالى: مزيد تعريفٍ وبيانٍ.

١١ ـ مفتاح طريق الأولياء؛ وأهل الزُّهد من العُلماء، وقد ذكره: الزِّرِكليُّ[(٣)]، وهُو مطبوعٌ[(٤)].

= لابن ضُويَّان (ص٢٩٣)، تاريخ التُّراث العربيِّ لسزكين (١/ ١/ ١١٠)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: كشف الظُّنون لحاجي خليفة (٢/ ١٦٤٣)، هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، إيضاح المكنون له (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٣) انظر: الأعلام للزِّرِكليِّ (١/ ٨٧).

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميِّ.

١٢ ـ مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين، وهي إحدى الرَّسائل الثَّلاث المُودعة في الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي لها بمشيئة الله تعالى: مزيد تعريفٍ وبيانٍ.

١٣ ـ نصيحةٌ في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا، وهُو مطبوعٌ[١].

١٤ ـ نصيحةٌ لبعض إخوانه، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[٢]، وهُو مخطوطٌ[٣].

نظمه:

كان رحمه الله تعالى إلى جانب ما جمع الله تعالى له من الذِّكر الرَّفيع: قد اشتهر عنه بأنَّه صاحب (نظمٍ حسنٍ)[٤] وشعرٍ رائقٍ وقرضٍ بديعٍ.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (أنشدنا لنفسه رحمه الله تعالى:

مَا زَالَ يَعْشَقُهَا طَوْراً ويُلْهِيهَا ... حَتَّى أَنَاخَ بِرَبْعِ الحُبِّ حَادِيهَا
يَشْكُو إِلَيْهِ كَلالَ السَّيْرِ مِنْ نَصَبٍ ... وَعْدَ الوِصَالِ يُمَنِّيهَا فَيُحْيِيهَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَأَهْدَى طِيبَ نَشْرِهِمُ ... فَهَيَّجَ الوَجْدَ مِنْ أَقْصَى دَوَاعِيهَا

---

(١) اعتنى بطباعته المكتب الإسلاميُّ؛ بتحقيق: زُهير الشَّاويش.
(٢) انظر: مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).
(٣) تُوجد منه نُسخةٌ خطيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (١٥٣٢)، وتقع في (١٢٧) ورقة، كما في: فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)، (٣/ ٥٦ ـ ٥٧).
(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

إنْ رُمْتَ سَيْراً فَصَفِّ القَلْبَ مِنْ دَنَسٍ ... مَعَ الجَوَارِحِ كَيْ تَنْفِي مَسَاوِيهَا
وَجَانِبِ النَّهْيَ حَسْبَ الجَهْدِ مُمْتَثِلاً ... نُجْحَ الأَوَامِرِ كَيْ يَنْفَكَّ عَانِيهَا
واقْصِدْ إِلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ تَفْهَمُهَا ... فَهْمَ الخُصُوصِ فَتَعْلُو فِي مَبَانِيهَا
وَدَاوِمِ الذِّكْرَ بَعْدَ العَقْدِ مِنْ سُنَنٍ ... عَقْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ لِلأَمْرَاضِ يَشْفِيهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَلا الصَّبَابَةَ إلا مَنْ يُعَانِيهَا)[1].

وقال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى: (ومن إنشادات الحزَّاميِّ هذا في مراتب المحبَّة:

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ الدَّيَاجِي سَارِياً ... رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا مَا البَدْرُ أَرْشَدَ ضَوْؤُهُ ... تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا انْجَابَ الظَّلامُ بِأَسْرِهِ ... وَرَأَى الصَّبَاحَ بِأُفْقِهِ قَدْ لاحَا
تَرَكَ المَسَارِجَ وَالكَوَاكِبَ كُلَّهَا ... وَالبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا)[2]

وفاته:

كان رحمه الله تعالى قد أدركته المنيَّة عن (أربعٍ وخمسين سنة)[3]، (وعينه من الانقطاع عن الدُّنيا وَسِنَة، ولم يزل على حاله إلى أن التقمته الأرض، وأودعته في بطنها إلى يوم العرض)[4].

---

(١) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٢) توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، وقد ذكرها ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: ص٧٨] دون نسبتها لقائلها، وفيه ذكر (اللَّيالِي)؛ بدل: (الدَّياجِي).
(٣) مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠).
(٤) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

وكانت وفاته بعد عصر السَّبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة بالمارستان[1] الصَّغير بدمشق، عن ثلاثةٍ وخمسين عاماً؛ وأربعة أشهرٍ؛ وأربعة أو خمسة أيَّامٍ[2].

وصُلِّي عليه بالجامع الأُمويِّ (ضُحى يوم الأحد، ودُفن بسفح قاسيون؛ قبالة زاوية السُّيوفيِّ، وتقدَّم في الصَّلاة عليه: أبو الوليد المالكيُّ)[3] رحمه الله تعالى.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (ولا أعلم خلَّف بدمشق في طريقته مثله)[4].

رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت العالمين، وأعلى سُبحانه درجته ورفع منزلته في المهديِّين، وأخلفه بُحسن كرمه في عقبه في الغابرين.

❑❑❑

---

(١) دار المرضى ـ وهُو مُعرَّبٌ ـ، وأصله: بيمارستان، وبيمار: المريض، وأستان: المأوى، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ (١٦/ ٥٠٠): مادَّة مرس.

(٢) هذا عُمره تحديداً، وما ذُكر أعلاه تغليباً، وقد وهم الصَّفديُّ بقوله: (عاش بضعاً وسبعين سنة)، كما في: أعيان العصر (١/ ١٥٤)، الوافي بالوفيَّات (٦/ ٢٢١).

(٣) المُقتفى للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

تَعرِيفٌ بِالمُؤَلِّفِ

رسائل المُؤلَّف:

اشتمل المُؤلَّف المليح؛ على ثلاثة مفاتيح، **أوَّلها**: مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة.

وثانيها: مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق.

وثالثها: مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين.

نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف:

هذه الرَّسائل الثَّلاث قد ثبتت نسبتها لمُؤلِّفها رحمه الله تعالى وصحَّت من وجهيْن:

الوجه الأوَّل: عبارة المُؤلِّف العذبة وأُسلوبه الحسن، إذ قد كُسيت كلمات الرَّسائل بعبارةٍ وأُسلوبٍ يظهر فيها التَّشابه الكبير والتَّقارب الواضح بينها وبين غيرها من رسائل المُؤلِّف المطبوعة، وهذا الوجه من الأوجه المُعتبرة في إثبات نسبة رسالةٍ مَّا لمُؤلِّفها، إذ أنَّ عبارات المُؤلِّفين في رسائلهم؛ وأساليبهم في كُتبهم: تتشابه إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أنَّها تُلقي في الرُّوع غلبة الظَّنِّ، وعليه فإنَّه يُمكن للقارئ أن يُطابق

بين العبارتيْن؛ ويُقارن بين الأُسلوبيْن: ليطمئنَّ إلى صحَّة نسبة هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها.

الوجه الثَّاني: تصريح بعض المُترجمين بنسبة بعض هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها، وممَّن صرَّح بذلك: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ(١).

موضوع المُؤلَّف:

ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في رسالته الأُولى: (مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة): أنَّ المُوجب لتعليق هذه الكلمات: هُو ما أودع الله تعالى في قلبه من المودَّة والرَّحمة والشَّفقة لإخوانه، لا سيَّما في تلك الأزمنة في رأس السَّبعمائة من الهجرة النَّبويَّة؛ والزَّمان الذي عزَّ فيه الأدلاء النَّاصحون؛ وكثرت فيه الأكاذيب والمدَّعون، حيث وجد الطَّالبين في زمانه: قد قطعتهم الإرادات؛ وجحفت بهم الانحرافات، فاستخار الله تعالى في تعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ تكون للطَّالب الصَّادق أُنموذجاً يستدلُّ بها على ما وراءها من حقائق المطالب العالية، وتُرشده إلى سبيل الصَّادقين من أُمَّة هذا النَّبيِّ الكريم ﷺ.

---

(١) حيث صرَّحوا بنسبة: (مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين) لمُؤلِّفها، انظر: هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، إيضاح المكنون له (٢/ ٥٢٥)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ، وثمانية فُصولٍ وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي: الأوَّل: في المبادئ، والثَّاني: في الأُمور التي يعتني بها صاحب هذا الحال، والثَّالث: في بيان المطلوب حقيقة هُو في الكتاب والسُّنَّة؛ دُون غيرهما من الأشياء والطُّرق، والرَّابع: في أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين لا يستقيم أمرهم إلا بها؛ ولا ينفذون إلى دينهم إلا بمعرفتها وتحقيقها، والخامس: في كيفيَّة التَّرقِّي إلى علم صفة الرُّبوبيَّة بعد إحكام صفة الإلهيَّة، والسَّادس: في بيان الكشف عن صفة المعيَّة الخاصَّة، والسَّابع: في بيان الكشف عن حال الجمع، والثَّامن: في لواحق بها يكمل الكتاب.

وذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في رسالته الثَّانية: (مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق): أنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ عناية يسلك به فيها إلى طريق المُقرَّبين؛ ومقاعد المحبوبين: ألهمه التَّوبة النَّصوح، فيعرف ربَّه سُبحانه من فوق عرشه وفوق سبع سماواته؛ بائناً من خلقه مُستوياً على العرش ـ الاستواء اللائق به ـ، فإذا عرف الطَّالب ربَّه سُبحانه وتعالى بأنَّه فوق العرش؛ وفوق السَّماوات؛ وفوق الأشياء كُلِّها ـ فوقيَّة تليق بجلاله ـ: صارت عظمته لقَلبه قِبلة، فتكون العظمة الإلهيَّة قِبلة قَلبه؛ كما تكون الكعبة الشَّريفة قِبلة بدنه.

ثُمَّ ذكر سبعة فُصُولٍ؛ ومُجملها فيما يأتي: الأوَّل: في إلزام النَّفس بالمُحاسبة في الحركات والسَّكنات؛ ومُراعاة الجوارح السَّبع: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل. والثَّاني: في مُراعاة أحكام الصَّلوات الخمس، والثَّالث: في الأدب في تلاوة القُرآن الكريم، والرَّابع: في تعلُّم رُبع العبادات وغيره ممَّا يفتقر دين المُتعلِّم إليه، والخامس: عبادة الله تعالى بالنُّصح له وإتقان الأعمال،

والسَّادس: استعمال الطَّريق الوسط بين الإفراط والتَّفريط، والسَّابع: مُعاملة الله عزَّ وجلَّ بالاجتهاد والإخلاص.

وذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في رسالته الثَّالثة: (مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين): أنَّ الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً: أقام فيه شاهداً من ذكر الآخرة، يُريه فناء الدُّنيا وبقاء الآخرة ودوامها، فيزهد في الفاني ويرغب في الباقي، فيبدأ بالسَّير والسُّلوك في طريق الآخرة، وأوَّل السَّير فيها: تصحيح التَّوبة، والتَّوبة لا تصحُّ إلا بالمُحاسبة ورعاية الجوارح، وهذا أحد شطري الدِّين، ويبقى الشَّطر الآخر وهُو القيام بالأوامر، فيُحقِّق الشَّطر الأوَّل وهُو ترك المناهي من قالَبه وقلبه.

ثُمَّ ذكر عشرة فُصُولٍ؛ ومُجملها فيما يأتي: الأوَّل: تنقية القلب من الخبائث والرَّذائل، والثَّاني: القيام بالأوامر، ولا يتمُّ القيام بها حتَّى ينصح لله تعالى فيها، والثَّالث: مرتبة السُّلوك في الطَّلب والإرادة والشَّوق إلى الوُصول والقُرب، والرَّابع: في الأمر الذي يبلغ السَّالك به إلى المطلوب بمعونة الله، والخامس: سياسة النَّفس على قانون العدل، والسَّادس: أن يعلم العبد أنَّ صلاح القُلوب وقُربها من الله إنَّما يكون بشُعورها بقُربه سُبحانه منها، فإذا شعرت القُلوب بقرب الله منها؛ وبأنَّ الله يعلم سرَّها وخفيَّ هواجسها ودبيب خطراتها: استقامت القُلوب وصلحت وقربت من ربِّها، والسَّابع: أن يغيب قلب العبد في معاني كلام الرَّبِّ تعالى؛ وتلتذَّ الرُّوح بالمعاني كما تلتذُّ بالنَّسيم البارد في الهواجر الحارَّة، والثَّامن: أنَّ من فُتح له في التِّلاوة: فقد صار القُرآن ربيع قلبه وشفاء صدره وجلاء حُزنه وطريقه إلى الله تعالى، والتَّاسع: أنَّ أذواق المُقرَّبين؛ ومشارب العارفين والمُحبِّين: لا يذوقها

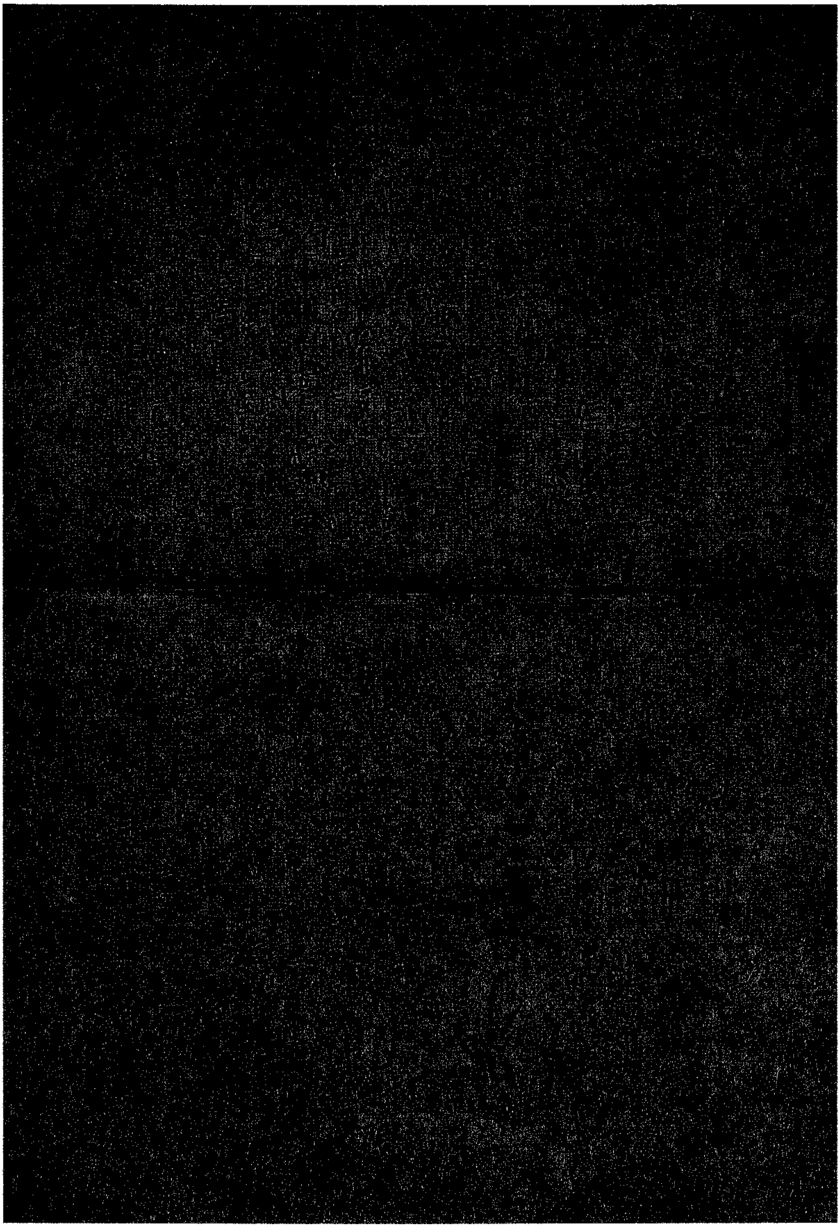
في كلام ربِّ العالمين من يَبِس مزاجهُ بالإفراط، والعاشر: أنَّ من سلك هذا القانون وهذه الطَّريقة: كان حاله كمن عمَّر الدُّنيا بقيامه في مصالحه، وعمَّر الآخرة بقيامه بمأمورات ربِّه، وعمَّر مكارم الأخلاق بحُسن تأتِّيه مع أهله وإخوانه بما يُرضي ربَّه، وعمَّر منازل القُرب ومواطن الأُنس بدُخوله في طريقٍ قريبةٍ سهلةٍ إلى ربِّه.

مصدر المُؤلَّف:

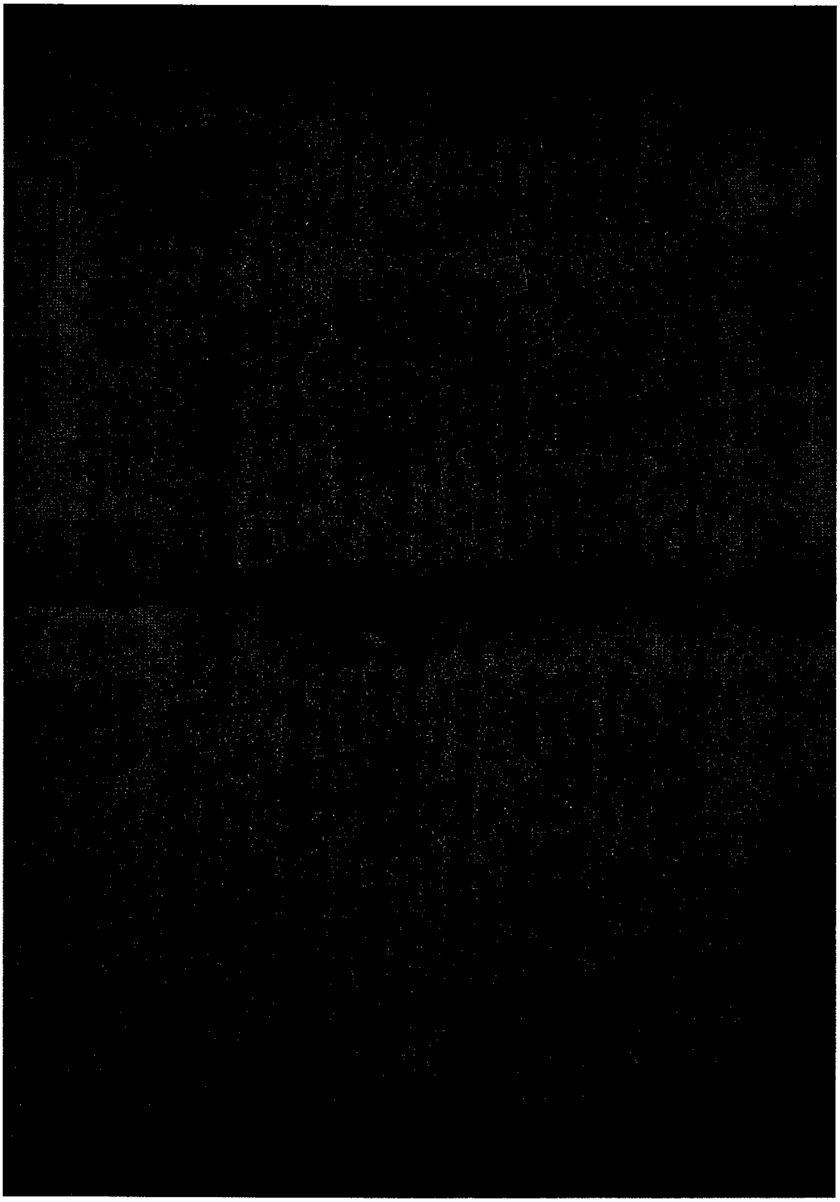
تتلخَّص المعلومات المُتعلِّقة بمصدر المُؤلَّف في كونه قد استخرجت رسائله الثَّلاث من مجموعٍ مُودعٍ في (مكتبة حاجي سليم آغا) في إسطنبول، وهي إحدى مكتبات الإدارة العامَّة للمكتبات؛ التَّابعة لوزارة الثَّقافة التُّركيَّة، ورقم هذا المجموع: (٤٠٤)[١]، وقد رُقِمَ هذا المجموع بخطٍّ مشرقيٍّ مُعتاد، وتقع هذه الرَّسائل الثَّلاث في عشرين ورقة، ومُسطَّرتها (٢٣) سطراً، وعدد كلماتها المُودعة في أسطرها تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) كلمة، وإليك صُور أوائل وأواخر هذه الرَّسائل الثَّلاث:

❑ ❑ ❑

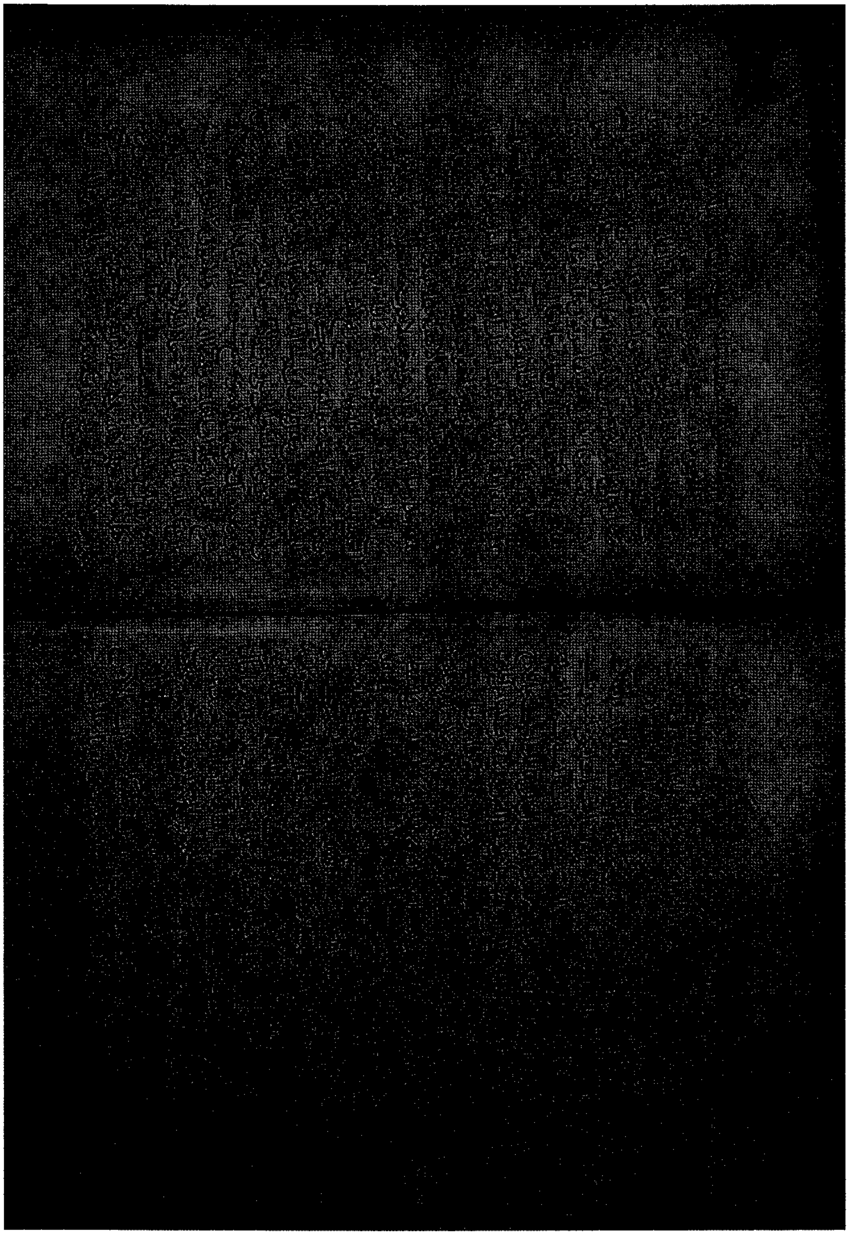
(١) أكرمني بصورةٍ من نُسخ الرَّسائل الخطيَّة: من له بالعلم بالغ عنايةٍ؛ وبأهله سابغ رعايةٍ: الشَّيخ الجليل؛ والأخ النَّبيل: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميُّ؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.



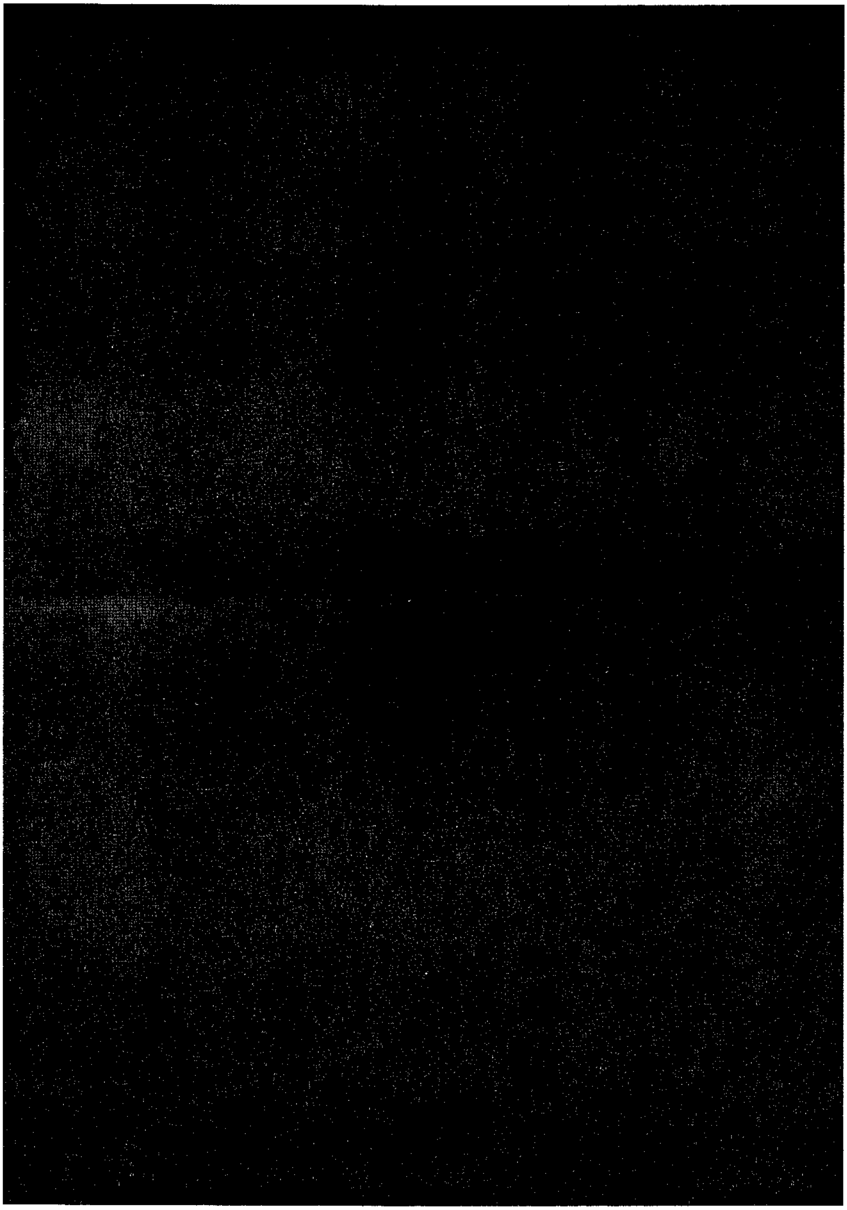
صُورة عُنوان وفاتحة الرِّسالة الأُولى



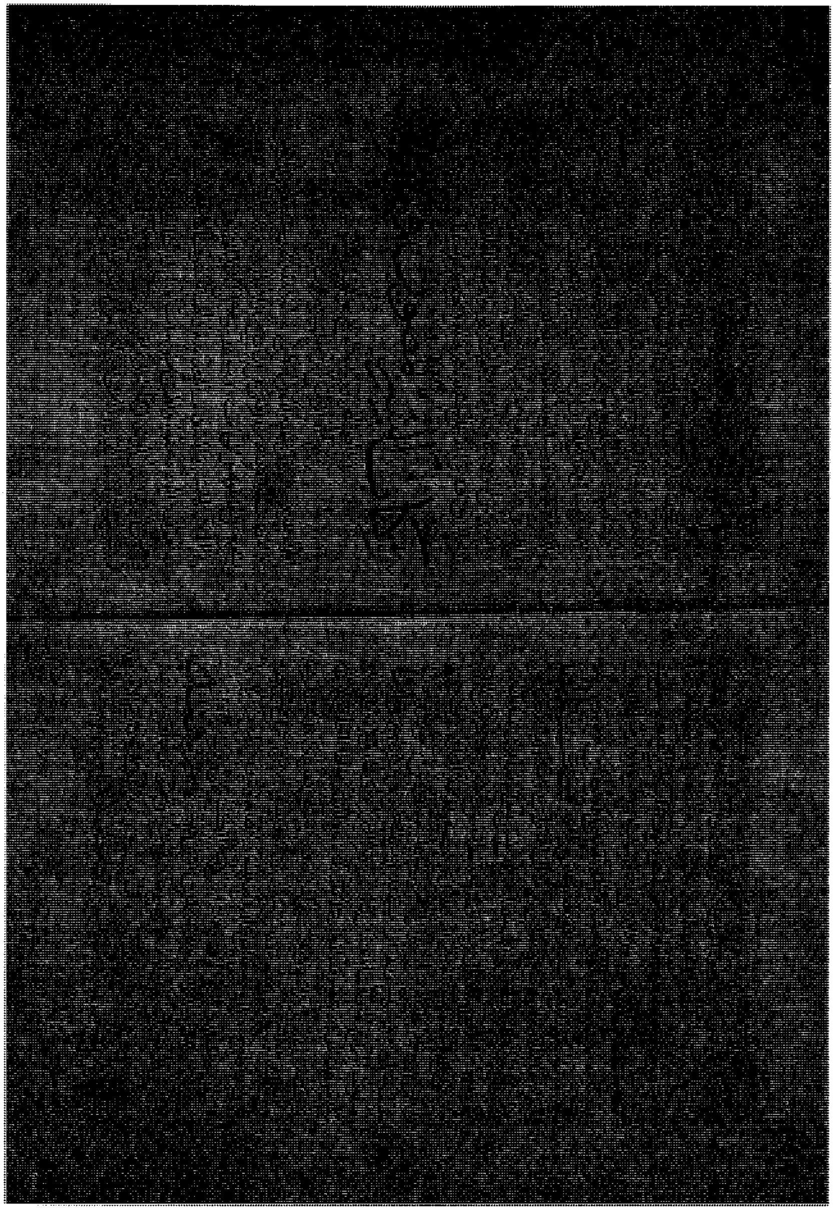
صُورة خاتمة الرِّسالة الأُولى؛ وعُنوان الرِّسالة الثَّانية



صُورة فاتحة الرِّسالة الثَّانية



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّانية؛ وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّالثة



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّالثة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٥)

مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطلب والإرادة

تأليف
الإمام الزاهد الناسك والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح من قُلوب مُريديه مغالق أقفالها، وحدا[1] بها إلى حضرات قُدسه من علائقها وأغلالها، وجمع في الملأ الأعلى بين أرواحها وأرواح أشكالها، وقدَّس عزائمها عن الشَّوائب القادحة وزكَّى بالقبول جميع أعمالها، وخَلَع عليها هُنالك من خِلَع الأسماء العليَّة والصِّفات المُقدَّسة الجلاليَّة حُللاً بهيَّة فهُم يرفلون في أذيالها، أُولئك قومٌ اختصَّهم الله برحمته وسقاهم بكأس محبَّته من أنهار الاجتباء وعُيون الاصطناع رائق الأشربة وعذب زُلالها.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد بالوحدانيَّة لنفسه وأولوا العلم من خلقه.

ونشهد أنَّ مُحمَّداً ﷺ عبده ورسوله، أرسله لهذه الأُمَّة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً، صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة تكون لصاحبها يوم العرض والنُّشُور بُرهاناً ونُوراً.

وبعدُ:

فإنَّ المُوجب لتعليق هذه الكلمات: هُو ما أودع الله تعالى في قلبي

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (حَدَ).

من المودَّة والرَّحمة والشَّفقة لإخوان التَّجريد ـ أهل التَّخلِّي والانفراد لطلب التَّوحيد ـ، الذين قطعوا العلائق؛ وانفردُوا عن الخلائق؛ وطلبوا الحقائق: بالجُهد الجهيد.

هجروا الأوطان؛ وفارقوا الإخوان، تجرَّعوا مرارات الفاقات؛ وكابدوا مضض[1] التَّقطُّع في طلب الله سُبحانه بالمُجاهدات والرِّياضات، واستبدلوا من العزِّ ذُلاً؛ ومن الغنى فقراً، دَرَسُوا أنسابهم[2] في الله وطَمَسُوا فيه أحسابهم، وفارقوا في حُبِّه أترابهم[3]، بقُلُوبٍ لها بنار الوجد زفيرٌ، وأكبادٍ بها لفحات الشَّوق كحرِّ الهجير، تُحرِّكُهم هُبوب الرِّياح في الأصائل[4]، ينبعثون إذا أظلم عليهم الدَّياجي[5] بالأحزان والبلابل[6]، يقول قائلهم[7]:

أَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي ... وَلا قَضَيْتُ مِنْ فَرْطِ حُبِّكَ أَوْطَارِي

وقال[8]:

قومٌ هُمومهم بالله قد عَلِقَت ... فما لهم همَّةٌ تسمو إلى أحدِ

---

(١) أي: حُرقة.

(٢) أي: مَحَوْها وأذهبوا أثرها.

(٣) أي: أمثالهم المُتساوين في السِّنِّ.

(٤) أي: وقت العَشِيَّات.

(٥) أي: اللَّيالي الشَّديدة السَّواد.

(٦) أي: شدَّة الهُموم وكثرة الوساوس.

(٧) هُو أبو الفيض ذُوالنُّون بن إبراهيم المصريُّ الأخميميُّ، كما في: طبقات الصُّوفيَّة للسُّلميِّ (١/ ٢١)، طبقات الأولياء لابن المُلقِّن (١/ ٢٢٣).

(٨) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: (ص٧٧)].

فمطلب القوم مولاهم وسيِّدهم يا حُسن مطلبهم للواحد الصَّمدِ
ما إن تنازعهم دُنيا ولا شرفٌ من المطاعم واللَّذَّات والولدِ

بلبلت قُلوبَهم بلابلُ الأحزان، وطرقها طارق الفقد والأشجان: أَنْ هبَّت من الغَوْر(١) نسمةٌ تمرُّ على أسرارهم من شَذْي(٢) الحُبِّ، لسان حالهم فيما يجدون؛ وعبادتهم عمَّا يستجنُّ في سرِّهم المكنون(٣):

إذا غبت عن عيني تملا بك الفكر وإن لم يزرني الطَّيف طاف بك السِّرُّ
وكُلِّي لسانٌ عن هواك مُخبرٌ وكُلِّي قلبٌ أنت في طيِّه نشرٌ

برقت على قُلوبهم بوارق المطلوب، وتدلَّت عليها لوامع من سرِّ الغُيُوب، فأصبحوا بها هائمين، وفي ابتداء الطَّلب تائهين.

والله لو حلف العُشَّاق أنَّهم سَكْرَى(٤) من الوَجْد يوم البتِّ ما حنثوا، ومن العجب العجيب أنَّ أحداً منهم لا يدري ما به وما السَّبب لهيمانه؟ وما الوجه الذي إذا أمَّه وتوجَّه إليه ظفر بمرامه؟

---

(١) أي: العُمق.
(٢) أي: ترنُّم وتغنِّي.
(٣) ذكرهما تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: (ص٧٨)].
(٤) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)]: (وهذا المعنى لم يُعبَّر عنه في القُرآن ولا في السُّنة ولا العارفون من السَّلف بالسُّكر أصلاً، وإنَّما ذلك من اصطلاح المُتأخِّرين، وهو بئس الاصطلاح، فإنَّ لفظ السُّكر والمُسكر من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً، وعامَّة ما يُستعمل في السُّكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ =

فمنهم من تقطعه السِّياحات؛ وتنزل به في أسفاره نوازل الفاقات، ومنهم من يُعانق الجُوع والضُّرَّ والزُّهد والتَّقشُّف والفقر، غُرباء بين الخلق، يظنُّ النَّاس أنَّ بهم جُنوناً وليسوا بمجانين، غير أنَّ الطَّلب استولى على عُقولهم فهيَّمها وبلبل أسرارها وأزعجها، وهُم مع ذلك يشتاقون إلى لقاء دليلٍ ناصحٍ يدلُّهم على نهج السَّبيل، عساهم يظفرون بما عليه يهيمون، وإيَّاه يُؤمِّلون.

فمن أراد الله به خيراً ألقاه على دليلٍ ناصحٍ؛ مُتَّبعٍ لآثار الرَّسول ﷺ على المنهج الواضح، يعرف أمراضهم وعللهم وترحهم ومضضهم، فيحضنهم كما تحضن الطَّير ولدها، ويُرضعهم من لبان المعرفة ما يُبرِّد به من قُلُوبهم لهبها، ويسدُّ بأقوات المعارف فاقاتهم، ويروي بمياه الوُصول ظمأ أكبادهم، فهُم جياعٌ بغير المعرفة لا يشبعون، عطاشٌ بغير مياه الوُصول لا يروون، أذلاء بغير مقاعد الصِّدق لا يعتزُّون، مفاليس بغير كُنوز التَّقريب لا يستغنون، هذا شأنهم وهُم الغُرباء، وطُوبى للغُرباء.

= [سُورة النِّساء: الآية ٤٣]. وعبَّر به سُبحانه عن الهول الشَّديد الذي يحصل للنَّاس عند قيام السَّاعة، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سُورة الحجِّ: الآية ٢]. ويُقال: فلانٌ أسكره حبُّ الدُّنيا، وكذلك يُستعمل في سُكر الهوى المذموم. فأين أطلق الله سُبحانه أو رسوله أو الصَّحابة أو أئمَّة الطَّريق المُتقدِّمون على هذا المعنى الشَّريف ـ الذي هو من أشرف أحوال مُحبِّيه وعابديه ـ: اسم السُّكر المُستعمل في سُكر الخمر وسُكر الفواحش؟! كما قال عن قوم لُوطٍ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سُورة الحجر: الآية ٧٢]. فوصف بالسُّكر أرباب الفواحش وأرباب الشَّراب المُسكر، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات؛ ولا سيَّما في قسم الحقائق).

ومن أراد الله امتحانه منهم حجبه عن الدَّليل وطوَّل عليه الطَّريق، حكمة بالغة منه في حقِّه، يمُحِّص بذلك أدناسهم، ويمحو به بقاياهم وأدرانهم.

وفي هذه الأزمنة في رأس السَّبعمائة من الهجرة النَّبويَّة: والزَّمان الذي عزَّ فيه الأدلاء النَّاصحون؛ وكثرت فيه الأكاذيب والمدَّعون، واستعلن مذهب الوَحدة والاتِّحاد[١]؛ بدعواهم أنَّهم سُبل الهُدى والرَّشاد، والصَّادقون يلتزمون الخلوة والأذكار؛ والتَّقلُّل والانتظار.

فمنهم من ينتهي في سُلوكه إلى مُجرَّد فنائه في الذِّكر؛ وهُمود خواطره في السِّرِّ، بلا فُرقانٍ يلوح ببينةٍ[٢] يتبعها شاهدٌ من شواهد الفُتوح.

فتراه جامد الظَّاهر، غايته فناء الخواطر، ورُبَّما فرحت نفسه بواقعةٍ وجَدَها؛ أو رُؤيا صالحةٍ قنع بها وضبطها.

وفي النَّاقدين من أهل زماننا من يَرِدُ عليه حالٌ يصطلمه[٣]، تعجز عبارته عن تميُّزه، وتَكِلُّ بصيرته عن تحديده[٤] وتقديره، لا يعرف العبادة ولا المعبود؛ إلا أنَّه مُستغرقٌ في مُجمل الشُّهود، ولا شعور له بالصِّفات التي على صاحبها بالمعرفة الصَّحيحة تعود.

---

(١) أي: مذهب الملاحدة القائلين بوحدة الوُجود واتِّحاد الخالق بالمخلوق؛ الذي يُضاهون به قول النَّصارى، تعالى الله عما يقول الظَّالمون عُلُوًّا كبيراً.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (بينه).

(٣) من اصطلاح المُتأخِّرين، ويقصدون به: أن يرتفع إحساس المُصطلم، فيستغرق في مشهوده؛ ويفنى في موجوده.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (تحديره).

فتراه أجنبيًّا عن السُّنَّة والقُرآن، فهُو عنهما مُعرضٌ حيران، يتغيَّر ذوقه عند القراءة، ويهرب من مجالس الحديث والإفادة، كأنَّه في طريقٍ مغايرةٍ لطريق الدِّين، كأنَّه ليس من جُملة المُسلمين.

وصاحب الذَّوق الصَّحيح إذا سمع القُرآن طرب إليه، واتَّصل القُرآن بذوقه اتِّصال الصِّفة بالموصوف، والكلام بالمُتكلِّم المعروف، ولذلك إذا سمع الحديثَ يُجيب قلبُه لدواعي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[1].

ويظهر بهذا أنَّ الأذواق المُجملة غير المُفصَّلة ـ وهُو التَّألُّه البسيط ـ: يشترك فيه مُتعبِّدو[2] أهل جميع الملل من اليهود والنَّصارى والصَّابئين، إذ القدر المُشترك بينهم مُطلق التَّألُّه، وهذا حالٌ لا يُغني شيئاً؛ حتَّى يتفصَّل على التَّفاصيل الإسلاميَّة، فيَعْرِف اللهَ تعالى من التَّفاصيل التي تعرَّف إلينا بها من نُعوته التَّامَّات؛ وصفاته الكاملات.

وفيهم من يجعل القُرآن والسُّنَّة علماً ظاهراً، والسُّلوك إلى الله تعالى من أحوال السَّرائر.

ومنهم من يُسكره لائحةٌ من التَّوحيد؛ فيغرق في بحر القدر والتَّفريد[3]، فيغيب بفعل الخالق عن فعل المخلوق، ويسكر بعلم كلمات

---

(١) سُورة الحشر: الآية ٧.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (مُتعبِّدوا).

(٣) التَّفريد: هُو إفراد المربوبِ ربَّه بالإيثار، فيُخلِّص العابد العبادة من شوائب حُظوظه، ويُفرد القصد والمحبَّة لمعبوده، وصدق التَّفريد: هُو أن يبذل المخلوق كُلَّه لخالقه وحده، ثُمَّ يحتقر ما بذل في جنب ما يستحقُّه، =

التّكوين عن علم كلمات التّكليف، فيبقى غائباً عن الأوامر والنَّواهي، يتطلَّع إلى صرف القدر المحض من جميع النَّواحي، وأنَّى تروي هذه الأشياء غليلاً؟! أو تشفي بالمحبَّة الصَّادقة عليلاً؟!

فالصَّادق في ابتدائه في أوان غلبات وجده كالعطشان، كُلَّما رأى سراباً مال إليه، وحام نحوه وعليه.

فإن وقع في كِفَّة هؤلاء الأقسام المذكورين طالبٌ صحيح الطَّلب ـ بحيث يُلقوه في لفيفهم؛ ويحشروه في مضيفهم ـ؛ وكان غُرًّا جاهلاً بمتاهات الطَّريق قد يسلك معهم بُرهة من الزَّمان حتَّى يصل إلى غاية أمدهم؛ أو مُنتهى حدِّهم ومددهم: فيظهر حينئذٍ أنَّه ليس على تحقيقٍ؛ وأنَّه تائهٌ عن الطَّريق، فيتعب بهم دهراً طويلاً؛ ويشقى بسببهم شقاء بعيداً، خُصوصاً إذا أذابوا مُهجته بالرِّياضات، وطرحوه في مشابك التَّجوع والفاقات، فتضعف بذلك قُواه البدنيَّة، وتتغيَّر لطيفته الذِّهنيَّة، فتروح حدَّته ونشاطه معهم، ويضيع عُنفوان شبيبته في طريق انحرافهم، حتَّى يصل إلى غاياتهم؛ فيرى ما هُم فيه سراباً ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[1].

وقليلٌ من السَّالكين يقف على عورهم، بل الغالب منهم ينقطعون معهم حيث انقطعوا، ويقفون في متاهاتهم مُتحيِّرين حيث وقفوا، ولا يقف على عورهم عند انتهاء سُلوكه معهم إلا الصَّادقون؛ لأنَّ الصَّادق لاحت له لوائح صادقةٌ؛ ولوامع صحيحةٌ رائقةٌ.

= ثُمَّ لا ينظر إلى بَذْلِه. مُلخَّصٌ من كلام ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ٤/ ٣٩٤ ـ ٣٩٨].

(١) سُورة النُّور: الآية ٣٩.

والبارقة وإن كانت شُعلة من وقودٍ؛ وقبساً لطيفاً من الأمر الكُليِّ الموجود: فإنَّها دالةٌ على ما وراءها من الكمالات، وهي أنموذجٌ صغيرٌ من ذلك الأمر الكبير.

فإذا أدَّاه السُّلوك السَّقيم؛ والطَّريق الذي هُو ليس بمُستقيم: إلى غايته ومُنتهى أمده؛ عرف بما عنده من البوارق الصَّحيحة أنَّه على غير طريقٍ، وأنَّ بُلوغه ليس ببُلوغ أهل التَّحقيق.

ثُمَّ غالب المُصنِّفين لكُتب الرَّقائق: تجدهم يصفون الطَّريق من الابتداء إلى الانتهاء؛ ومن التَّوبة إلى الفناء والبقاء، ولا يُبيِّنون الأمر الذي به يتمُّ السَّير والسُّلوك، ولا يُنبِّهون على الأمر ـ الذي تتدرَّج هذه المقامات فيه تدريجاً ـ تنبيهاً تمتحي معه الشُّكوك.

ففيهم من أشار إلى مُجرَّد الذِّكر البسيط أو المُركَّب مع الخلوة والتَّقلُّل، وذلك يُعطي حالاً مُجملاً لا تمييز شرعيَّ فيه، فيبقى بينه وبين ذائقي أهل الملل قدراً مُشتركاً، غير أنَّه يُصدِّق بصاحب الشَّريعة وهُم به مُكذِّبون، والقدر الجامع بينهم مُطلق التَّألُّه كما ذُكر أولاً.

ومنهم من أشار إلى العبادة والتِّلاوة بالتَّدبُّر، وإنَّما ينفذ في التَّلاوة حقيقة النُّفوذ المُوصل إلى المطلوب: من عرف المُقدِّمات ـ التي هي بمثابة الأساس للبُنيان[١] ـ من معرفة الأيَّام النَّبويَّة؛ والسِّير الصَّحابيَّة، وكيف كان ابتداء الإسلام وطُلوع شمسه وبُزوغ قمره؟ وكيف أينع غُصن الإيمان وأينق؛ وسطع نُوره وأشرق؟

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (للتِّبيان).

فمن عرف ذلك وتحقَّق بمعرفة الرَّسول ﷺ وعرف دلائل نُبوَّته وقام بُرهان ذلك في سرِّه حتَّى صار عِلْمه بذلك ضروريًّا؛ ثُمَّ عرف نُبوَّة الأنبياء من قبله بوُقوفه على قصصهم المُطابقة لما نطق به الكتاب العزيز والسُّنَّة المأثورة وذاق طعم الإيمان بصدقهم؛ ثُمَّ وجد في ذوقه ووجده أنَّ الذي جاء به هذا النَّبيُّ الخاتم للنُّبوَّة وما جاءت به الرُّسل والأنبياء من قبله هُو من عينٍ واحدةٍ ونُورهم جميعاً من مشكاة الرُّبوبيَّة ـ فدينهم واحدٌ وشرائعهم مُختلفةٌ؛ والرَّبُّ الذي يدعون إليه إلهٌ واحدٌ ـ؛ ثُمَّ وجد نَفَس الرَّحمن[١] وذوق الحقِّ ظاهراً[٢] في جميع مللهم وشرائعهم بذوقه الصَّحيح وكشفه البيِّن المُنير: انتفع حينئذٍ بالتِّلاوة حقيقة الانتفاع، وصارت طريقاً للطَّالب يُوقعه على مطلوبه، وسبيلاً يُوصل المُحبَّ إلى معرفة محبوبه، ومع ذلك لا بُدَّ من شيخٍ يُريك شُخُوصها؛ أو صاحبٍ ذائقٍ يُنبِّهك على رُموزها.

وفي الجُملة؛ فالكتاب لا يستغني عن السُّنَّة في البيان، والسُّنَّة لا تستغني عن الكتاب، كلاهُما من الله تعالى، وكُلٌّ منهما يُبيِّن الآخر ويُوضِّحه ويدلُّ على حقائقه.

فلمَّا وجدت الطَّالبين في زماني على هذا المنهج سائرين؛ قد قطعتهم الإرادات؛ وجَحَفَت بهم[٣] الانحرافات: استخرتُ الله تعالى

(١) أي: تنفيسه وتفريجه، كما قال رسول الله ﷺ: **(وهو مُوَلٍّ ظهره إلى اليمن: إنِّي أجد نَفَس الرَّحمن من ههنا)** أخرجه الطَّبرانيُّ في مُعجمه الكبير [الحديث رقم (٦٣٥٨)، (٧/ ٥٢)].

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (ظاهر).

(٣) أي: جَرَفَتْهم بشدَّة.

في تعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ تكون للطَّالب الصَّادق أُنموذجاً يستدلُّ بها على ما وراءها من حقائق المطالب العالية، وتُرشده إلى سبيل الصَّادقين من أُمَّة هذا النَّبيِّ الكريم أهل المشاهد الكاملة غير المغضوب عليهم ولا الضَّالِّين، فتحها الله تعالى عليَّ علماً قطعت بصحَّته، وأرجو من كرم الله تعالى أن يُحقِّقها لي حالاً أتَّصف بها بين أهل ولايته، فالنَّاطقون عن علمٍ لهم مرتبة الإخبار من علم اليقين، والواجدون لهم مرتبة التَّحقيق من عين اليقين، ويجب البيان كيلا يلتبس المُتكلِّم بالعلم: بالمُتكلِّم بالحال، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

❑ ❑ ❑

الفصل الأوَّل:

في المبادئ

إذا أراد الله بعبدٍ خيراً: أيقظه من سِنَة الغفلة للتَّخلُّص من مُوبقات الآثام والورَطة.

فأوَّل ذلك: عند ظُهور الإنابة إلى الله تَرِد على العبد جذباتٌ تجذب قلبه وهُو في غمار الغفلة، تتلاطم عليه فيه أمواج الطَّبيعة والهوى، ويستبين له الرُّشد والهُدى، على قدر استمرار تلك الجذبات التي تجذب قلبه من عوالمه الأرضيَّة إلى مقرِّ رُوحه، فيُشرق له في ذلك الحال بنُور عقله ضياء الطَّريق، ثُمَّ يعود عليه عوالمه الأرضيَّة، فيبقى مُتحيِّراً في ظُلماتها.

فمنهم من يتعاطى في تلك الظُّلمة ما يتقاضاه الطَّبع والهوى؛ إلا أن يعصمه الله تعالى، فلا يزال كذلك صاعداً مرَّة إلى أوجه؛ وتارة أُخرى إلى حضيضه، فيكون في أوَّل الأمر أوقات صُعوده نادراً، ثُمَّ تتوالى عليه الجذبات؛ إلى أن يبقى الصُّعود والنُّزول متساوييْن[1]، ثُمَّ تغلب أوقات الصُّعود على أوقات النُّزول، ثُمَّ تندر[2] أوقات النُّزول كما كانت أولاً أوقات الصُّعود نادرة.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مُتساويان).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (تندار).

فهُو بين ظُهور القلب والرُّوح: هُما أوجاه؛ الذي تُصعده[1] الجذبة إلى مقرِّهما العُلويِّ، والطَّبع يحطُّه عن أوجه إلى حضيضه الذي هُو مركز النَّفس والشَّهوات والحُظوظ الدُّنيويَّة[2].

فصاحب القلب الذي أغلب أوقاته يظهر عليه حُكم القلب إذا سقط: وقع على أرض طبيعته، وصاحب الرُّوح الذي أغلب أوقاته يظهر عليه أحكام الرُّوح إذا سقط: وقع على القلب[3]، فيكون محفوظاً بنُور قلبه.

وقد يسقط في بعض الأحيان على طبعه؛ لكن يكون ذلك نادراً، ومن وقع على طبعه: فحكمه ضبط نفسه عن أن ينصرف بحُكم نفسه وطبعه، إذ لا يبقى معه نُورٌ يحرسه ويتغذَّى به.

❑❑❑

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يصعده).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (الدُّنياويَّة).

(٣) وقع لَحَقٌ في النُّسخة الخطيَّة: بين قوله: (فصاحب القلب الذي أغلب أوقاته يظهر عليه حُكم القلب)؛ وقوله: (سقط: وقع على القلب فيكون محفوظاً بنُور قلبه).

الفصل الثَّاني:

في الأمور التي يعتني بها صاحب هذا الحال

لا شكَّ أنَّ من هذا شأنه يكون غالباً تارة؛ ومغلوباً أُخرى، تارة يقهر جُندُ القلب والرُّوح؛ فتكون كلمة الله العليا على باطن الشَّخص وظاهره، وتارة يغلب جُندُ النَّفس والهوى والشَّيطان؛ فتكون الشَّهوات والإرادات النَّفسانيَّة حاكمة على الشَّخص غالبة عليه، فهُو في كُلِّ وقتٍ في حربٍ وجهادٍ، يَرِد عليه في كُلِّ يوم من العوارض المحمودة والمذمومة من ظاهره وباطنه من الخلائق أُمورٌ مُتعارضةٌ مُتقابلةٌ، ومثل هذا لا بُدَّ أن يُبتلى بقواطع وموانع ليُمتحن صَبره فيها.

وقد جَعَل في الكون جُنوداً تتقوَّى بها جُنودُ القلب والرُّوح؛ وجُنوداً تمدح الطَّبع والهوى والشَّيطان من الجنِّ والإنس[(١)]، فالعُلماء والصَّالحون والأولياء والمُقرَّبون والعبادات والقُرُبات والدُّعاء والالتجاء: جُنودٌ تمدح القلب والرُّوح، والبطَّالون والغافلون وتعاطي الشَّهوة والغفلة عن الله تعالى: يتركَّب منها جُنودٌ يتقوَّى بها جُنود الطَّبع والهوى.

ولا بُدَّ أن تعرض له فتنٌ كقطع اللَّيل المُظلم، وتدعوه الشَّياطين إلى طُرُق الضَّلالات وسبيل المتاهات، فليستعن بالله ويُكثر الدُّعاء

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في جُنود القلب والرُّوح وجُنود النَّفس).

والتَّضرُّع والابتهال في طلب النُّصرة منه، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[1]. وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾[2].

ثُمَّ أنفع ما له: الاشتغال بموادَّ تُقوِّي جُنود قلبه وتُسهِّل له سبيل رُشده لتغلب جُنودُ الرَّحمن جُندَ الشَّيطان، وتصير كلمة الله هي العُليا، وتُفتح عكَّا النَّفس؛ وطرابلس الهوى، وتُكسر الصُّلبان؛ ويُوحَّد الرَّحمن، وتتدلَّى على القلب أسباب الهُدى؛ وتُفتح مغالق المطالب التي إليها المُنتهى، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾[3].

وأهمُّ ما له بعد القيام بالأوامر واجتناب النَّواهي: رعاية الجوارح عن المُحرَّمات والمكروهات، والتَّخلُّص من قضاء الصَّلوات الفائتات، والحُقوق الواجبات فيما بينه وبين الله تعالى؛ وبين الخلق، حتَّى لا يبقى قلبه مُظلماً[4].

ولُزوم المُحاسبة: يُحاسب النَّفس على كُلِّ قولٍ يقوله أو عملٍ يعمله، فلا يعمل شيئاً إلا لله عزَّ وجلَّ، مثلاً: لا يتكلَّم إلا لله؛ ولا يتحرَّك إلا لله، يُقدِّم النِّيَّة الصَّالحة على كُلِّ عملٍ من أعماله، وأيُّ حركةٍ أو عملٍ خلت من نيَّةٍ صالحةٍ: استغفر الله منها.

ولُزوم المُراقبة على الهُموم والإرادات، فلا يهمُّ إلا بخيرٍ، ولا ينوي إلا خيراً، فإنَّ الهُموم مُقدِّمات الأعمال، فمتى صلحت

---

(١) سُورة الأنفال: الآية ٩.

(٢) سُورة الحجِّ: الآية ٧٨.

(٣) سُورة النَّجم: الآية ٤٢.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (مُظلمٌ).

الهُموم: صلحت الأعمال، ومتى فسدت: فسدت الأعمال، ويُراقب نظر الله تعالى إلى قلبه، ويستشعر علمه به وقيامه عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2].

فيُراقب علم الله تعالى في سُويداء قلبه فيتَّقيه ويخشاه في ضميره، فهذا كُلُّه مُهمٌّ وقتُه وواجبٌ حالُه؛ لا غناء له عنه البتة، ولا يستقيم إلا به ولا ينفذ إلا به، فإنَّ باستعمال ذلك: تذوب طبيعة النَّفس؛ ويضعف الشَّيطان وتقوى جُنود القلب والرُّوح بالمحبَّة والعرفان.

فأهمُّ ما له مع ذلك: الاعتناء بعلم الحديث؛ والسِّير النَّبويَّة؛ والأيَّام الصَّحابيَّة، كالسِّيرة لابن إسحاق والواقديِّ وغيرهما، والصِّحاح السِّتَّة[3]، والاعتناء بالمُرور عليها، ويُطالع المسانيد الكبار كُمسند الإمام أحمد بن حنبلٍ وعَبْد[4] بن حُميدٍ وغيرهما، ويُطالع كُتب دلائل النُّبوَّة كدلائل النُّبوة للبيهقيِّ ولأبي نُعيمٍ الأصفهانيِّ والقاضي عياضٍ المغربيِّ وشرف المُصطفى لابن الجوزيِّ وغير ذلك، ومُطالعة قصص الأنبياء كالمُبتدى الذي للكسائيِّ أو غيره.

---

(١) سُورة يُونس: الآية ٦١.
(٢) سُورة المُلك: الآية ١٣.
(٣) وُصفت بالصِّحاح السِّتَّة تغليباً، وهي صحيح البُخاريِّ؛ وصحيح مُسلمٍ؛ وسُنن أبي داود؛ وجامع التِّرمذيِّ؛ وسُنن النَّسائيِّ؛ وسُنن ابن ماجه.
(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (عبد الله).

فيعرف كيف بُعثت الأنبياء؟ وكيف عالجوا الكُفَّار؟ فيعرف من السِّيرة بعثة النَّبيِّ ﷺ، ويتحقَّق بقلبه أنَّه بُعث كما بُعثوا، وأنَّ الذي جاؤوا به جميعاً من مشكاةٍ واحدةٍ.

وكذلك يعتني بعلم أيَّام الصَّحابة، كالطَّبقات لابن سعدٍ والاستيعاب لابن عبد البرِّ، وعلم أسباب النُّزول، وعلم التَّفسير والتَّأويل للقُرآن بعد معرفة مُحمَّدٍ، وواجبات الوُضوء والصَّلاة وشرائطهما، وعلم واجبات ما يخصُّه من الأُمور التي يُبتلى بها دون أمر العامَّة؛ إلا أن يستعدَّ له ويتَّسع لتحصيله مع حفظ مُهمَّات حاله وواجبات وقته.

ولا بُدَّ من شيخٍ نافذٍ إلى الله؛ يعرف الله تعالى من طريقة الرَّسول ﷺ، يكون علمه خالصاً عن شوب العُلوم الفاسدة المُنحرفة، قد ارتضع من لبان الرَّسول ﷺ وتضلَّع من رضاعه، فيأخذ عنه مقاصد الكتاب والسُّنَّة؛ بلا تأويلٍ ولا تحريفٍ، فإن رُزق مثل هذا الشَّيخ: فهُو من ألطاف الله، وذلك من جُملة التَّوفيق.

❑ ❑ ❑

الفصل الثَّالث:

في بيان المطلوب حقيقة هُو في الكتاب والسُّنَّة دُون غيرهما من الأشياء والطُّرق

إعلم أنَّ الله سُبحانه وتعالى أكمل هذا الدِّين ولم يجعله مُعْوِزاً[١] فيُتمَّم من غيره كما يعمله أهل هذا الزَّمان، يجعلون الكتاب والسُّنَّة علماً ظاهراً يستعملونه في ظواهر العبادات والمُعاملات والعادات.

فإذا طلبوا معرفة الله والنُّفوذ إليه والوُصول إلى الحقائق والأسرار الإلهيَّة: صرفوا وُجُوههم عن الكتاب والسُّنَّة، وطلبوا ذلك من عُلوم الصُّوفيَّة والفُقراء؛ ومن الرِّياضة والتَّجوُّع والعُزلة والانفراد؛ أو من قطع الأسباب والتَّجرُّد عمَّا لا بُدَّ منه، فيُفتح لهم أمرٌ مُجملٌ لا تفصيل فيه ـ كما ذُكر أولاً ـ.

فمن جعل علم الصُّوفيَّة قِبلة قلبه: أعطته حالاً مُجملاً لا تفصيل فيه، ومن جعلها طريقاً إلى أن يستنبط بها من الكتاب والسُّنَّة الحقائق التي أشارت عُلوم الطَّائفة إليها: فقد وُفِّق وهُدي إلى طريقٍ مُستقيمٍ.

وإنَّما الطَّريقة الكاملة الجامعة المُستقيمة التي لا زيغ فيها ولا انحراف: أن تطلب معرفة الله من حيث تعرَّف إلينا من أسمائه العليَّة؛ وصفاته الجلاليَّة والجماليَّة؛ التي نطق الكتاب العزيز بها، ونصَّ

---

(١) أي: مُحتاجاً إلى شيءٍ.

الرَّسول ﷺ عليها: من أخبار الصِّفات وآياتها التي يدلُّ كُلُّ خبرٍ منها على سرٍّ عظيمٍ من أسرار المعرفة؛ وشأنٍ كبيرٍ من شُؤون العظمة، يُفتح به على الطَّالبين أبوابُ المعارف؛ وتُحفُ اللَّطائف، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله.

والسِّرُّ في إظهارها لنا وخطابنا بها: هُو أنْ نعرف الموصوف بها، فنعبده ونتوكَّل عليه؛ ونتألَّهه ونشتاق إليه، ونراقبه ونُعظِّم حُرماته، فيكون لقُلوبنا بالمرصاد.

فبعض النَّاس يتَّخذ آيات الصِّفات وأخبارها من قِبل الحُروف والمُتشابهة[1]؛ الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وحقيقةً: لا يعلم تأويل آيات الصِّفات وأخبارها إلا الله، لكن ما الحكمة في خطابنا بها وإظهارها لنا؟ فما هُو إلا لنذوق منها أذواق المعارف؛ ونُحبُّ الموصوف بها صاحب المكرمات واللَّطائف، وننفي عنها التَّمثيل والتَّكييف؛ والتَّأويل والتَّحريف.

فمن المُحال أن يُبيِّن الله تعالى في كتابه العزيز وفي سُنَّة رسوله ﷺ كُلَّ شيءٍ ـ كما ورد: (علَّمنا رسول الله ﷺ كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِراءة)[2] ـ ويترك شُؤون المعرفة وطريق الوُصول إلى الله

---

(١) أي: الحُروف المُقطَّعة والآيات المُتشابهة.

(٢) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الطَّهارة/ باب الاستطابة ـ الحديث رقم (٢٦٢) ـ ١/ ٢٢٣] عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه قال: **(قيل له: قد علَّمكم نبيُّكم ﷺ كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِراءة. فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائطٍ أو بولٍ، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلَّ من ثلاثة أحجارٍ، أو أن نستنجي برجيعٍ أو بعظمٍ).**

تعالى مُبهمة؛ فنفتقر إلى المعرفة بها إلى علم آخر غير الكتاب والسُّنَّة! بل ذلك في الكتاب والسُّنَّة، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله.

ثُمَّ اعلم[1] أنَّ الله تعالى تعرَّف إلينا وأعلمنا بأنَّه فوق كُلِّ شيءٍ عرشُه، وفوق سبع سماواته، في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2]. وبقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[3]. وبقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[4]. وبقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[5]. وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[6]. وبقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[7]. وبقوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[8]. وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[9].

وقوله حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾[10]. وهذا يدلُّ على أنَّ مُوسى عليه السَّلام أخبره بأنَّ إلهه فوق السَّماوات، ولأجل ذلك قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في معرفة الله تعالى كما ينبغي).
(٢) سُورة طه: الآية ٥.
(٣) سُورة النَّحل: الآية ٥٠.
(٤) سُورة فاطر: الآية ١٠.
(٥) سُورة الأعلى: الآية ١.
(٦) سُورة الأنعام: الآيتان ١٨؛ ٦١.
(٧) سُورة المُلك: الآية ١٦.
(٨) سُورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٩) سُورة النِّساء: الآية ١٥٨.
(١٠) سُورة غافر: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

فمجموع ذلك؛ ومعراج النَّبيِّ ﷺ من سماءٍ إلى سماءٍ إلى أن أوحى إليه ما أوحى: دلائل قطعيَّة؛ وعُلومٌ ضروريَّة بأنَّ ربَّنا سُبحانه فوق عرشه؛ وفوق سبع سماواته؛ وفوق الأشياء كُلِّها، مُتنزِّهٌ عن الدُّخول في خلقه، ووُجوده سُبحانه بائنٌ عن وُجود خلقه، مُنفردٌ بنفسه وبجميع صفاته عن خلقه، وفوقيَّته سُبحانه فوقيَّة مُختصَّة به؛ لا كفوقيَّة الجسم المخلوق على الجسم المخلوق المحصور المحدود ـ تعالى الله عن ذلك ـ، فإنَّ العرش المجيد لا يُقلِّه ولا يُحيط به، وهُو الحاملُ للعرش المُحيطُ به، فعُلوُّه وفوقيَّته واستواؤه مُختصَّةٌ به؛ صفاتٌ تليق به، مُنزَّهٌ عن صفات الحدث، كما أنَّ سمعه العظيم مُنزَّهٌ عن سمع المخلوق، وبصره العظيم مُنزَّهٌ أن يكون كبصر المخلوق، وعلمه الكريم مُنزَّهٌ عن أن يكون كعلم المخلوق. فكذلك عُلوُّه واستواؤه مُنزَّهٌ أن يكون كعُلوِّ المخلوق واستوائه، فافْهَمْ ذلك وأَثْبِتِ الصِّفة ونَزِّهْ الموصوف عن صفات الحدث.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[1]. أي: مَنْ على السَّماء، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2]. أي: على الأرض. وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[3]. أي: على جُذوع النَّخل.

فهذه مسألة العرش، فافهمها وحقِّقها: تفز بالكنز الأكبر؛ والسِّر العظيم.

❑❑❑

---

(١) سُورة المُلك: الآية ١٦.

(٢) سُورة التَّوبة: الآية ٢.

(٣) سُورة طه: الآية ٧١.

الفصل الرَّابع:

في أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين لا يستقيم أمرهم إلا بها ولا ينفذون إلى دينهم إلا بمعرفتها وتحقيقها

إعلم وفَّقك الله أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين، هي مبدأ المعارف الإلهيَّة والأذواق الوجديَّة، هي نقطة أمرهم ومركز دائرتهم، عليها تنشأ قواعدهم، وأكثر من انحرف عن التَّحقيق: فلجهله بها، فمعظم من لقيتُه من السَّالكين والطَّالبين: وجدتُهم ليس لقُلوبهم قِبلة تتوجَّه إليها[1]، لكونهم لا يُحقِّقون أنَّ ربَّهم فوق كُلِّ شيءٍ؛ بائنٌ من خلقه، فهُم حائرون فيه، فمنهم من يعتقد أنَّه لا داخل العالم ولا خارج العالم؛ ولا فوقه ولا تحته، وفيهم من يقول: إنَّه في كُلِّ مكانٍ، فهؤلاء قطعاً لا تصل قُلوبهم إلى حقيقة الأمر؛ لأنَّ مبدأ الحقائق ووُجودها ـ علماً واعتقاداً ـ في نفس المُريد والسَّالك، ثُمَّ تعود تلك العقائد فتصير مشاهد، فإذا كانت العقائد فاسدة: كانت المشاهد وهميَّة فاسدة.

فأوَّل أُمور الصَّادقين: معرفتهم بأنَّ ربَّهم فوق كُلِّ شيءٍ، فمن عرف منهم ذلك: صار لقلبه قِبلة في توجُّهه ودُعائه، كما أنَّ المُصلِّي قِبلته في صلاته الكعبة، إليها يتوجَّه؛ ونحوها ينحو، فالطَّالب المُريد إذا أيقن بذلك: يصير ما فوق العرش قِبلة قلبه في توجُّهه وإرادته.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (إليه).

ومن ذلك المحلِّ العُلويِّ: تنزل عليه البركات؛ وتُفَتَّح عليه حقائق الفُتوحات بمشيئة الله وإرادته، وهُو سُبحانه وتعالى قريبٌ في عُلوِّه؛ عليٌّ في قُربه، لا يُغيِّر قُربُه ومعيَّتُه: عُلوَّه وفوقيَّتَه، فهُو بذاته وصفاته فوق عرشه بائنٌ من خلقه، وهُو في عُلوِّه مع خلقه بمعيَّةٍ هي صفته، وحيطةٍ هي نعته، لا يُكيَّف ولا يُمثَّل، وهُو بذاته فوق العرش المجيد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد؛ فيما وصف به لنا نفسه، وتعرَّف إلينا بأنَّه فوق عرشه، وتعرَّف إلينا بأسمائه العليَّة؛ وصفاته المُقدَّسة الجلاليَّة، من حياته وعلمه وكلامه وسمعه وبصره وإرادته وقُدرته ومشيئته ووجهه الكريم ذي الجلال والإكرام ويديه المبسوطتيْن[1] وقبضته ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]، ويمينه في قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[3].

ووصف نفسه بعزَّته وقهره ولُطفه ورضاه ومحبَّته وغضبه ولعنته وسخطه وبطشه وانتقامه ورؤيته لعباده ومعيَّته معهم ومراقبته[4]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾[5]. وإتيانه يوم القيامة ومجيئه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[6]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[7].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (المبسوطتان).
(٢) سُورة الزُّمر: الآية ٦٧.
(٣) سُورة الزُّمر: الآية ٦٧.
(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (ومُراقبه).
(٥) سُورة الأحزاب: الآية ٥٢.
(٦) سُورة البقرة: الآية ٢١٠.
(٧) سُورة الفجر: الآية ٢٢.

وغير ذلك من الصِّفات المُقدَّسة الواردة في الكتاب العزيز لمن عرفها وتدبَّرها؛ وعرف الكتاب العزيز وتدبَّره وفهمه وتلاه حقَّ تلاوته.

فمن فُتحت بصيرته ورُزق صفاء الفهم وحُسن الاستماع: يجد الباري تعالى في كتابه العزيز يتعرَّف إلينا بمعاني صفاته، فتراه يُخاطبنا بكلامٍ رحيمٍ لطيفٍ بعباده، وتارة يُخاطبنا بكلامِ جبَّارٍ قاهرٍ مُنتقمٍ من مُخالفيه وأعدائه، وتارة يُخاطبنا بكلامٍ مُقتدرٍ يُدبِّر الأمر ويفعل ما يشاء، وتارة بكلامٍ عظيمٍ ذي مهابةٍ وعزَّةٍ، كُلُّ ذلك معرفة بمعاني صفاته، ويُقابل كُلَّ صفةٍ من صفاته بمُقتضاها من العُبوديَّة والخُضوع والطَّاعة.

فمثال الأوَّل: قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفاته الرَّحيمة واللُّطف والكرم والجود المُوجب لسعة الرَّجاء.

ومثال الثَّاني: قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾[2].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفات الجبروت والقهر والانتقام من مُخالفيه وأعدائه.

---

(١) سُورة الزُّمر: الآية ٥٣.

(٢) سُورة الحاقَّة: الآيات ٣٠ ــ ٣٢.

ومثال الثَّالث: قوله(١): ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾(٢).

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني المُلك والرُّبوبيَّة والاقتدار ومثال ذلك.

وإنَّما نبَّه على جنس هذه المعاني ليستدلَّ بها على ما وراءها، ولذلك نطقت السُّنَّة النَّبويَّة بأخبار الصِّفات التي تُفيد المعرفة بالموصوف، وهي كثيرةٌ أيضاً، وقد صُنِّف فيها كُتبٌ كثيرةٌ، فليطلبها من أراد الوُقوف عليها.

فمن ذلك: ما ورد من نُزوله سُبحانه وتعالى إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثُلث اللَّيل الأخير، فيقول: هل من تائبٍ؟ هل من مُستغفرٍ؟ إلى أن يطلع الفجر(٣)، ومن تجلِّيه يوم

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (قوله: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ...﴾ الآية، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾).

(٢) سُورة الرَّعد: الآيتان ١ ـ ٢.

(٣) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب صلاة المُسافرين وقصرها/ باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر اللَّيل والإجابة فيه ـ الحديث رقم (٧٥٨) ـ ١/ ٥٢٣] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وأبي هُريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ الله يُمهل؛ حتَّى إذا ذهب ثُلث اللَّيل الأوَّل: نزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: هل من مُستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتَّى ينفجر الفجر**).

القيامة ضاحكاً[1]، ومن فرحه بتوبة عبده[2]، ومن تعجُّبه[3]،

---

(١) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها ـ الحديث رقم (١٩١) ـ ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً: (ثُمَّ يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربَّنا. فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: حتَّى ننظر إليك. فيتجلَّى لهم يضحك).

(٢) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الدَّعوات/ باب التَّوبة ـ الحديث رقم (٦٣٠٨) ـ ٤/ ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب التَّوبة/ باب في الحضِّ على التَّوبة والفرح بها ـ الحديث رقم (٢٧٤٤) ـ ٤/ ٢١٠٣] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المُؤمن من رجلٍ في أرضٍ دويَّةٍ مُهلكةٍ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتَّى أدركه العطش، ثُمَّ قال: أرجع إلى مكاني الذي كُنت فيه فأنام حتَّى أموت. فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته؛ وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشدُّ فرحاً بتوبة العبد المُؤمن من هذا براحلته وزاده).

(٣) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّفسير/ باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ـ الحديث رقم (٤٨٨٩) ـ ٣/ ١٥٥٦]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الأشربة/ باب إكرام الضَّيف وفضل إيثاره ـ الحديث رقم (٢٠٥٤) ـ ٣/ ١٦٢٤] عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي مجهودٌ. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحقِّ؛ ما عندي إلا ماءٌ. ثُمَّ أرسل إلى أُخرى، فقالت مثل ذلك، حتَّى قُلن كُلُّهنَّ مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحقِّ؛ ما عندي إلا ماءٌ. فقال: من يُضيِّف هذا اللَّيلة رحمه الله. فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء. قالت: لا؛ إلا قُوت صبياني. قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السِّراج وأريه أنَّا نأكل، =

ومن رُؤيته يوم القيامة في حديث الرُّؤية[١].

وقد أفرد الدَّارقُطنيُّ رحمه الله كتاباً في حديث الرُّؤية وطُرقه[٢]، فإنَّه حديثٌ عظيمٌ من الأحاديث الدَّالَّة على المعرفة وأبواب المحبَّة من تجلِّيه في صفةٍ غير الصِّفة التي عرفوها، ومن كون المُؤمنين يتَّبعُونه حين يتَّبع أهل الطَّواغيت طواغيتهم[٣]، ومن القَدَم حين يضعه في النَّار؛

= **فإذا أهوى ليأكل فقُومي إلى السِّراج حتَّى تُطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضَّيف. فلمَّا أصبح غدا على النبيِّ ﷺ فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما اللَّيلة).**

(١) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّوحيد/ باب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ـ الحديث رقم (٧٤٣٦) ـ ٥/ ٢٣٢٠]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة/ باب فضل صلاتي الصُّبح والعصر والمُحافظة عليهما ـ الحديث رقم (٦٣٣) ـ ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (**خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: إنَّكم سترون ربَّكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تُضامون في رُؤيته**).

(٢) قال في مُقدِّمته (ص٩١): (هذا كتابٌ حافلٌ جمعت فيه ما ورد من النُّصوص الواردة في كتاب الله تعالى وأحاديث النَّبيِّ ﷺ المُتعلِّقة برُؤية الباري جلَّ وعلا وبعض أُمور الآخرة)، وتبعه ابن النَّحَّاس؛ حيث أفرد كتاباً في رُؤية الله تبارك وتعالى.

(٣) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الأذان/ باب فضل السُّجود ـ الحديث رقم (٨٠٦) ـ ١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب معرفة طريق الرُّؤية ـ الحديث رقم (١٨٢) ـ ١/ ١٦٣ ـ ١٦٦] عن أبي هُريرة رضي الله عنه: (**أنَّ ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تُضارون في رُؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تُضارون في الشَّمس ليس دُونها سحابٌ؟** =

فتقول النَّار: قط قط[1]؛ أو قد قد[2]، ومن ذكر الأصابع الواردة في الصَّحيح حديث الحبر لمَّا قال: إنَّ الله يأخذ السَّموات على أُصبعٍ؛ والأرضين على أُصبعٍ؛ الحديثَ، فضحك رسول الله ﷺ تعجُّباً لما قال الحبر؛ وتصديقاً له[3].

= قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنَّكم ترونه كذلك، يجمع الله النَّاس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتَّبعه. فيتَّبع من كان يعبد الشَّمس الشمس، ويتَّبع من كان يعبد القمر القمر، ويتَّبع من كان يعبد الطَّواغيت الطَّواغيت، وتبقى هذه الأُمَّة فيها مُنافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صُورةٍ غير صُورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتَّى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه. فيأتيهم الله تعالى في صُورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: أنت ربُّنا. فيتَّبعونه).

(١) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّفسير/ باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ـ الحديث رقم (٤٨٤٨) ـ ٣/ ١٥٣٩]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضُّعفاء ـ الحديث رقم (٢٨٤٨) ـ ٤/ ٢١٨٧] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (لا تزال جهنَّم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتَّى يضع ربُّ العزَّة فيها قَدَمه، فينزوي بعضها إلى بعضٍ وتقول: قَطْ قَطْ؛ بعزَّتك وكرمك. ولا يزال في الجنَّة فضلٌ؛ حتَّى يُنشئ الله لها خلقاً فيُسكنهم فضل الجنَّة).

(٢) قال ابن حجرٍ العسقلانيُّ في [فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ: ٨/ ٤٦١]: (ووقع في حديث أبي سعيدٍ ورواية سُليمان التيميِّ بالدَّال بدل الطَّاء، وهي لغةٌ أيضاً، وكُلُّها بمعنى: يكفي).

(٣) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّفسير/ باب ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ـ الحديث رقم (٤٨١١) ـ ٣/ ١٥١٩]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار/ الحديث رقم (٢٧٨٦) ـ ٤/ ٢١٤٧] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (جاء حَبْرٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا مُحمَّد؛ أو يا أبا القاسم؛ =

ومن غير ذلك من الصِّفات الواردة في السُّنَّة الصَّحيحة المأثورة المُنَزَّهة[1] عن التَّشبيه والتَّمثيل؛ المُحقِّقة التي لا تأويل لها إلا حقائقها مع نفي التَّأويل والتَّعطيل.

وكُلُّ صفةٍ من هذه الصِّفات: بابٌ مفتوحٌ إلى طريق المعرفة، وكُوَّةٌ[2] يُشرق منها سرٌّ من أسرار الإلهيَّة؛ وشأنٌ عظيمٌ من شُؤون العظمة، يشهد المُحبُّ العارفُ الذَّائقُ الموصوفَ بها، فتكون الصِّفة الواحدة باباً إلى معرفة الموصوف.

فما ظنُّك بجميع الصِّفات الواردة والأسماء إذا كُوشف العارف بحقائقها ووجد أذواقها؟! فيشهدها كما تليق بالرَّبِّ سُبحانه، عريَّة عن التَّمثيل بشيءٍ من المخلوقات والمُتوهَّمات والمُتخيَّلات.

والعارف الذَّائق ـ لا المحجوب الجامد البارد اليابس؛ لكنْ المُحبُّ الصَّادق والواجد الذَّائق ـ: يذوق بقلبه حقيقة وُجودها، قائمة بالموصوف الكبير المُتعال، لا كيفيَّة لها ولا مِثْل.

= إنَّ الله تعالى يُمسك السَّموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشَّجر على إصبع، والماء والثَّرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثُمَّ يهزُّهُنَّ فيقول: أنا الملك؛ أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجُّباً مِمَّا قال الحَبْر تصديقاً له، ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾).

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (المُنَزَّة).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وكونه).

وكُلُّ عاقلٍ لبيبٍ يُفرِّق بين وُجود الشَّيء وحقيقته بالذَّوق؛ بلا كيفٍ ولا إحاطةٍ؛ وبين تكييف الشَّيء والإحاطة به وتخيُّله.

فإن قُلت: فالخيال لا بُدَّ منه؛ لأنَّه لا بُدَّ أن يقوم بقلب العارف شيءٌ.

فيُقال: نعم؛ لكن ليس كمِثْل الذي يقوم بقلبه شيءٌ، ولذلك يذوق العارف حقيقة وُجود الصِّفة عريَّة عن التَّكييف والتَّمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(1). وجاء في الحديث: **(وتعالى جدُّك)**(2).

فهُو سُبحانه وتعالى له المَثَل الأعلى في السَّماوات والأرض وفي قُلوب المُؤمنين، وليس لذلك المَثَل مِثلٌ يُشبَّه به.

وهذا المَثَل يجده العارفون في قُلوبهم؛ هُو بمثابة الاسم والمُسمَّى، فليس الاسم غير المُسمَّى ولا عينه، ومن توهَّم أنَّ الذي

---

(١) سُورة الرُّوم: الآية ٢٧.

(٢) أخرج أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١١٦٥٧) ـ ١٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠]؛ وأبو داود في سُننه [كتاب الصَّلاة/ باب من رأى الاستفتاح بـ: سُبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك ـ الحديث رقم (٧٧٥) ـ ص١٢٥]؛ والتِّرمذيُّ في سُننه [كتاب مواقيت الصَّلاة/ باب ما يقول عند افتتاح الصَّلاة ـ الحديث رقم (٢٤٢) ـ ص٧٠]؛ والنَّسائيُّ في سُننه [كتاب الافتتاح/ باب نوع آخر من الذِّكر بين افتتاح الصَّلاة وبين القراءة ـ الحديث رقم (٨٩٩) ـ ص١٤٩]؛ وابن ماجه في سُننه [كتاب إقامة الصَّلوات والسُّنَّة فيها/ باب افتتاح الصَّلاة ـ الحديث رقم (٨٠٤) ـ ص١٥٢] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه: (**أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا افتتح الصَّلاة قال: سُبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك**).

يجده في قلبه عين الحقيقة: فقد ادَّعى الحُلول والاتِّحاد؛ تعالى الله أن يحلَّ في شيءٍ أو يحلَّ فيه شيءٌ.

وهذا المَثَل مُطابقٌ للحقيقة بحسب استعداد المحلِّ، فإنَّ مُطابقة المَثَل بحسب محلِّه، فافهم ذلك فإنَّه مُهمٌّ جدًّا إن كُنت تطلب معونة الرَّبِّ والوُصول إليه، فصفات الباري تعالى يذوق العارف حقائقها بلا تكييفٍ ولا إحاطةٍ؛ كما يُؤمن المُؤمن بها بلا تكييفٍ ولا إحاطةٍ.

فإن قيل: كيف يُعرف من ليست له ماهيَّةٌ محدودةٌ؟ وكيف يُحبُّ من ليس له جمالٌ مُمثَّلٌ؟

فالجواب: أنَّ الحقائق إنَّما غابت ماهيَّتها عن القُلوب وتعذَّر تمثيلها وتكييفها: لقدمها وكمالها؛ وحُدوث صاحب القلب ونقصه، فإذا كان الشَّيء المحدود المحصور يُحبُّ ويُعرف بجسده وكيفيَّته: فمن غابت حقيقتُه عن القُلوب وكمالُه فهُو أولى بالمحبَّة من الأشياء المُمثَّلة، ولهذا الكمال جمالٌ يلوح في القُلوب أظهر من الجمال الظَّاهر المحدود الموصوف؛ يجده العارفون، فافهم هذا السِّرَّ؛ عساك أن تذوقه.

فإذا وفَّق الله تعالى العبد للتَّفقُّه في كتابه وسُنَّة نبيِّه ﷺ: يستفيد أولاً معرفة الرَّسول ﷺ، فيُعرف بسيرته وأيَّامه ومُعجزاته وآياته وسُنَّته وآدابه وغزواته وحركاته وسكناته وكراماته؛ كما يعرف فقراءُ زماننا وصُوفيَّته: شُيوخَهم بأنسابهم وصفاتهم ووقائعهم وكراماتهم.

واعلم أنَّ معرفة الرَّسول ﷺ هي أوَّل رُتبةٍ من رُتب المعارف، وهي أصل المعرفة وأساسه؛ لأنَّ الله تعالى تعرَّف إلينا بواسطته، وتجلَّى

علينا من جهته، فصارت معرفة الرَّسول هي الأساس؛ عليها تُبنى مباني المعارف، وعلى قدر التَّحقُّق بمعرفة الرَّسول ﷺ: يكون التَّحقُّق بمعرفة المُرسِل.

فإذا أتقن العبد معرفة الرَّسول ترقَّى حينئذٍ إلى معرفة المُرسِل من الرِّسالة وهي القُرآن، فيرقى إلى فهم الكتاب العزيز، ويعرف الرَّبَّ تعالى حينئذٍ من الصِّفات الواردة فيه، فيبقى حينئذٍ يسمع القُرآن كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه من فوق عرشه وهو معه، وتستولي المُراقبة حينئذٍ على قلب العارف؛ والهيبة للرَّبِّ تعالى والشُّعُور بعظمته، فيتحقَّق حينئذٍ بمعرفة الإلهيَّة؛ وهُو معنى الإله الذي تألهه القُلوب وتعبده وتطلبه وتُحبُّه وتُحبُّ قُربه.

فإذا كمَّل هذا المشهد: يُرجى أن يُفتح عليه بمعرفة الرُّبوبيَّة التي مضمونها: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[1]؛ بعد أن يتحقَّق: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.

❑❑❑

(١) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

الفصل الخامس:

في كيفيَّة التَّرقِّي إلى علم صفة الرُّبوبيَّة بعد إحكام صفة الإلهيَّة

فإذا يسَّر الله تعالى للسَّالك التَّحقُّق بمشهد الإلهيَّة؛ وقام السَّالك بتحقُّقه[1] واستولى عليه حُكمُه: يُرجى أن يُفتح له علم معرفة الرُّبوبيَّة؛ وهُو الكشف عن سرِّ التَّوحيد والكلمات التَّكوينيَّات، ويظهر له قيام الرَّبِّ تعالى بتدبير خلقه، فلا نفع ولا ضُرَّ؛ ولا حركة ولا سُكون؛ ولا قبض ولا بسط؛ ولا خفض ولا رفع: إلا والله سُبحانه وتعالى فاعله وخالقه وقابضه وباسطه وخافضه ورافعه، له المُلك وله الحمد وهُو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

فحينئذٍ يتحقَّق العبد العُبوديَّة؛ ويخضع لأحكام الرُّبوبيَّة؛ ويستسلم للقدر؛ ويطمئنُّ إلى كفالته سُبحانه؛ ويرضى بتقديره وتدبيره، ويتحقَّق حينئذٍ بإيَّاك نعبد فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[2].

وهذا الباب هُو كشف سرِّ الكلمات التَّكوينيَّات؛ وهُو علم صفة الرُّبوبيَّة، والأوَّل هُو علم صفة الإلهيَّة؛ والتَّحقُّق بالقيام بالأمر والنَّهي يكون عن كشف علم الإلهيَّة؛ والتَّحقُّق بالتَّوكُّل والتَّفويض، وحقائق العُبوديَّة يكون بكشف علم الرُّبوبيَّة؛ وهُو علم التَّدبير السَّاري

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (تحقُّقه).

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

في الأكوان من الكلمات التَّكوينيَّات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾. أي: بكلماته التَّكوينيَّات ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾[2]. أي: بالكلمات التَّكليفيَّات.

فإذا وفَّق الله تعالى العبد وحقَّقه بهذا المشهد ـ بحيث لا يحجبه عن المشهد الأوَّل ـ: فهُو الكمال.

فكثيرٌ من المفتوح عليهم ينحجب بأحد المشهديْن عن الآخر، ومن وُفِّق للجمع بينهما بلا ضعفٍ منه؛ بل يكون كمن له عينان ينظر بأحدهما إلى هذا وبالأُخرى إلى هذا؛ فيقوم بحُكم هذا ويستعين بالله بحُكم الآخر: فقد وُفِّق وهُدي إلى صراطٍ مُستقيمٍ.

ففيهم من يكون قويًّا في باب العبادة قائماً بالأوامر الشَّرعيَّة؛ فإذا جاءت الأحكام القدريَّة: ضعف وتزلزل واضطرب ولم يقف على حقيقة التَّوكُّل ولا على حقيقة التَّفويض، بل خاصم وسخط ونازع ولم يرض بقضاء الله ولا بفعله، وهذا عبدٌ شهد الإلهيَّة ولم يشهد الرُّبوبيَّة.

وفيهم من يكون قويًّا في باب الاستعانة والتَّوكُّل والجريان مع القدر؛ ضعيفاً في باب الحلال والحرام والمُحاسبة والمُراقبة والقيام بأحكام الكلمات التَّكوينيَّات: فيقع في المحظُورات والمحذُورات بحُكم طبعه وشهوته، وهذا عبدٌ شهد الرُّبوبيَّة ولم يشهد الإلهيَّة.

---

(١) سُورة النَّحل: الآية ٤٠.

(٢) سُورة التَّحريم: الآية ١٢.

والطَّبع والشَّهوة لا يُخمد نارَهما إلا القيامُ بالعبادة التَّامَّة مع الاستعانة التَّامَّة، ومن وُفِّق للجمع بينهما: استقام على الجادَّة؛ على صراط ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]؛ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2]. فحينئذٍ يُرجى أن يُفتح له بالكشف عن صفة المعيَّة.

❑❑❑

(١) سُورة النِّساء: الآية ٦٩.

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٧.

الفصل السَّادس:

في بيان الكشف عن صفة المعيَّة الخاصَّة

وهي معيَّةٌ خاصَّةٌ، وهي الصِّفة الثَّابتة لله تعالى بأنَّه مع كُلِّ شيءٍ كما يليق به، فيجتمع للعبد الجمع في هذا المشهد بين مشهد الإلهيَّة والرُّبوبيَّة، فيشهد الإله الآمر النَّاهي المُتكلِّم بالقُرآن الباعث للرَّسول ﷺ: هُو الرَّبُّ القادر المُدبِّر لمُلكه؛ وكُلُّ شيءٍ في قبضته وتدبيره، وهُو في عُلوِّه وارتفاعه مع العبد ومع كُلِّ شيءٍ، فيأنس العبد حينئذٍ من بعد وحشته، ويصير له سميرٌ من فيض معرفته؛ حين تحقَّق بصفة معيَّته، فلا يرى بينه وبين ربِّه مسافة تحجبه، ويجده مُحيطاً به قابضاً على ناصيته، ناظراً في سُويداء سرِّه ذوقاً ووجداً؛ لا نظراً وعلماً، هُو معه حيث ما كان؛ فحيث ما تحرَّك أو تصرَّف، باطنه مُمتلئٌ من ذوق صفة معيَّته، فيستحييه العبد ويُراعي اطِّلاعه عليه وعلمه به، فإذا صار إلى هذا المقام: فقد شارف مقام الجمع؛ ويُرجى أن يُفتح له بمشهد الجمع.

❑❑❑

الفصل السَّابع:

في بيان الكشف عن حال الجمع

فإذا جمع الله تعالى للعبد المشاهد الثَّلاثة ـ مشهد الإلهيَّة والرُّبوبيَّة والمعيَّة ـ: يبقى القلب مُستهتراً[1] بذكر الذَّات الجامع لجميع الصِّفات الكماليَّة، وهذا أوَّل الجمع، ثُمَّ يَرِد عليه حال الجمع بمشيئة الله تعالى، فهُو هُجوم اليقين عليه من جميع جهاته في فناء وُجوده، فيفنى حينئذٍ من لم يكن؛ ويبقى من لم يزل، ويضمحلُّ الحدث لظُهور القِدم.

ومن ذاق من ذلك شيئاً: فهُو يعمل على صفاء شُهوده من شَوب وُجوده، فهُو يتوب أبداً من وُجوده المُزاحم لصفاء شُهوده، كما قيل: وُجودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبٌ[2].

---

(١) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [الوابل الصَّيِّب ورافع الكلم الطَّيِّب: (ص١٨٩)]: (وفي بعض ألفاظ الحديث: (**المُستهترون بذكر الله**)، ومعناه: الذين أُولعوا به، يُقال: استهتر فلانٌ بكذا؛ إذا ولع به).
إشارة إلى الحديث الذي أخرجه التِّرمذيُّ في سُننه [كتاب الدَّعوات/ باب في العفو والعافية ـ الحديث رقم (٣٥٩٦) ـ (ص٨١٧)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**سبق المُفرِّدون. قالوا: وما المُفرِّدون يا رسول الله؟ قال: المُستهترون في ذكر الله، يضع الذِّكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً**).

(٢) ذكر ابن العماد في [شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب: (٢/ ٢٢٩)] عن الجُنيد قوله: (ما انتفعت بشيءٍ انتفاعي بأبياتٍ سمعتها). ثُمَّ ذكر من جُملتها:
(وإن قُلتَ ما أذنبتُ قالت مُجيبة   وُجودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ)

والنَّفس في هذا المقام تتلطَّف في الدُّخول عليه بإراداتٍ لطيفةٍ مشوبةٍ بأعمالٍ صالحةٍ ليعود عليه وُجوده، فإنَّ عيشها في بقاء وُجودها؛ وموتها في فناء وُجودها، فلا يزال كذلك حتَّى يستقرَّ له حال الجمع.

وتارة يضعف قلب صاحب الجمع عن مُخالطة الصِّفات المُتقدِّمة لشدَّة ظُهور حُكم الذَّات فلا يتَّسع للصِّفات حتَّى يتقوَّى ويرى الأمر مُطابقاً للاعتقاد، فإنَّ الكشف الصَّحيح ـ هُو ما كان مُطابقاً للاعتقاد ـ: يقتضي أنَّ الرَّبَّ تعالى لم يزل مُتَّصفاً بالصِّفات قديماً وأزلاً؛ ولا يزال كذلك أبداً، فيكمل له حينئذٍ شُهود الجمع مع الصِّفات؛ وهُو المشهد التَّام الكامل، وحال صاحب هذا المقام: التزام العُبوديَّة لله تعالى؛ ورفض الاستبداد بقولٍ أو فعلٍ، فمتى استبدَّ بقولٍ أو فعلٍ: عُوقب إمَّا بعُقوبةٍ ظاهرةٍ أو باطنةٍ.

فإنَّه قد وجد الله بقلبه، ومن وجد الله بقلبه: استسلم له ولأحكامه، وصار عبداً له في جميع شُؤونه وأحواله، فهُو لا يُدبِّر ولا يتحرَّك ولا يتكلَّم إلا بما أمر به في ظاهر العلم؛ أو ندب إليه شرعاً، وأمَّا ما لم يجب عليه: لم يُندب إليه، فهُو في الشَّرع مُخيَّرٌ بين تركه والدُّخول فيه، فيطرق قلبه فيه بين يدي سيِّده؛ ينظر ما يُفيض عليه من شُهوده شارعٌ فيه، وإن وجد الفيض توقَّف حتَّى يتبيَّن له حُكمه، فهُو عبد الله تعالى، وآثار العُبوديَّة وخُضوع القلب لله عليه ظاهرٌ، وحُكم التَّوكُّل والتَّفويض عليه لائحٌ، وقد يُؤمر بالدُّخول في الأمر بهاتفٍ أو منام ليمضي فيه، أمَّا ما وجب بظاهر العلم لم يحتج معه إلى بيِّنةٍ باطنةٍ، لكنَّه يمضي فيه؛ وإن وجد القبض؛ لأنَّ الحُكم حاكمٌ على الذَّوق الباطن في كُلِّ شيءٍ، فلا يزال قائماً مع الله تعالى بوصف العُبوديَّة حتَّى يقبله الله تعالى ويتَّخذه عبداً ويصطنعه ويُقرِّبه ويُرتِّب له مرتبة بين يديه.

فأوَّل علامة ذلك: جذبةٌ تأخذ برُوحه فتعرج به إلى الملكوت حتَّى يجاوزه بعُروج رُوحه، ويُرتَّب له مرتبة في القُرب بعيان الرُّوح، وهذا الذي يُسمَّى الوُصول، وتلك مُشاهدة القُلوب بأنوار الإيمان.

وفرقٌ بين عيان الرُّوح وشهادة القلب، فحُكم هذا حينئذٍ: حُكم من رأى المَلك ـ أعني صاحب هذه المُشاهدة الإيمانيَّة ـ وبَعْدُ لم يصل إلى قُربه، فهُو يتأدَّب ويترك الاختيار، ويرجع إلى الله تعالى في كُلِّ شيءٍ حتَّى يرحمه ويُقرِّبه وينظر بقلبه إليه ويُرتِّب له بين يديه مرتبة، فذلك حينئذٍ أوَّل وُقوعه في تولِّي الحقِّ؛ وأوَّل علاماته في قبوله له.

فلا يزال قائماً في حُكم تلك المرتبة حتَّى ينتقل إلى غيرها ثُمَّ إلى غيرها، حتَّى يتصفَّى من كدره؛ وتذوب بقاياه فيصلح للدُّخول على المَلك ومُناجاته كفاحاً، ويصير من الخواصِّ الذين لا يُحجبون عن منازل المُلوك، وذلك الغاية التي انتهى عندها الطَّلب؛ وحصل المقصود من السَّير والسُّلوك، وحينئذٍ يبقى مأذوناً له لطهارته، باقياً بربِّه بقَيْد حاله؛ ولا تُقيِّده الحال لأنَّه بربِّه لا محالة، فبه يسمع؛ وبه يُبصر؛ وبه ينطق، وهذا مقام المُقرَّبين المحبوبين المُصطنعين، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

❑❑❑

الفصل الثَّامن:

في لواحق بها يكمل الكتاب

اعلم أنَّ هذه المعارف الشَّريفة؛ والمقامات العالية المُنيفة: لا تسكن إلا في القُلوب الطَّاهرة؛ والأبدان المُستعملة في مراضي الله تعالى من الأعمال الصَّالحة، ولا تسكن في قلبٍ مُلوَّثٍ بالشَّهوات، محشوٍّ بمحبَّة العُلوِّ والاستتباع والرِّئاسات، ولا في قلبٍ مُعلَّقٍ بشيءٍ من العوالم السُّفليَّات، إلا في قلبٍ صادقٍ في طلب ربِّ السَّماوات، لتقرَّ عينه بلقائه ويحظى لديه بخصائص التَّقريبات.

وعلامة صاحب هذه الهمَّة: كمال التَّقوى والمُحاسبة ورعاية الجوارح السَّبعة: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل ـ كما مرَّ أولاً ـ عن جميع مُحرَّمات الشَّرع ومكروهها، ومع ذلك فيكون قوَّاماً على قلبه بالرِّعاية التَّامَّة والمُراقبة للهمم الدِّينيَّة والخواطر النَّفسانيَّة، يُراعي اطِّلاع الرَّبِّ تعالى عليها، فهُو يتَّقيه ويخشاه في سرِّه كما يخشاه في علانيته، فهذا علامة الصِّدِّيقين الطَّالبين المُستعدِّين لهذه المعارف السَّنيَّة؛ والأحوال العليَّة.

وكُلُّ من لم يُحقِّق هذا الأصل؛ ولم يدخل فيه: لا يصلح لهذا الشَّأن إلا أن يشاء الله له ذلك، فإنَّ علامة المُرادين لهذا الأمر: قيامهم على الخواطر حتَّى يُنقُّوها من المكاره، ثُمَّ من الفُضول، ثُمَّ ينطلق من أسرار النَّفس فتبقى سماويَّة ذاكرة ذكر اللَّذات.

ومن لم يتحقَّق هذا؛ ولم[1] يُروِّض نفسه فيه غالباً: لا يثبت مشهده ولا يستقرُّ، ولا يصلح لانطلاق قلبه إلى ملكوت ربِّه ووُصوله إلى ما تُعاينه الأرواح؛ التي تبقى فيها مُشاهدة القُلوب المذكورة كالظُّلمات لمُعاينة الحقائق، فاعلم ذلك وحقِّقه.

فليزن الإنسان نفسه بهذه الموازين، أوَّلها: خُلوُّ قلبه عن التَّعلُّق بالأدنى من جميع العوالم السُّفليَّات، فإنَّ صاحب العلائق محجوبٌ عن الوُلوج إلى عالم السَّماوات، فيحتاج مثل هذا القلب إلى تطهُّرٍ، فإذا طَهُر استعدَّ لطلب الحقائق، فكثيرٌ من النَّاس يكون مُشتغلاً بالتَّقوى والمُراقبة وسياسة النَّفس بالآداب الشَّرعيَّة؛ وقلبه مُقيَّدٌ مُعلَّقٌ بشيءٍ من الكون، وذلك هُو حجابه؛ لأنَّ لذلك الشَّيء على قلبه سلطنةٌ وهيمنةٌ وربَّانيَّةٌ تمنع وُصول سلطنة الحقِّ وربَّانيَّته إلى القُلوب.

وأكثر المحجوبين[2] عن الحقائق لهذه الموانع، وذلك مِثْل حُبِّ رئاسةٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو مملوكٍ أو مُعاشرةٍ؛ أو غير ذلك من الأشياء التي يتعلَّق بها سرُّه ويسكن إليها قلبه، فلا يكمل إقباله على ربِّه ولا طلبه؛ فيُحجب لذلك.

فمن حُرم الوُصول من الطَّالبين: فليتَّهم نفسه، وليتطهَّر من الأدناس؛ ولينفكَّ عن العلائق.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (هذا لم).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (المحجوبون).

وقد يكون الإنسان باشر الأُمور الكبيرة وليس بين قلبه وبينها ارتباطٌ، بل قلبه مُتعلِّقٌ بالله تعالى، وتُشبه حال هذا: حال الحزينة الثَّكلى، تُباشر مصالحها والحُزن كامنٌ في قلبها، فنفس المُباشرة لا تَحْجُب، بل تَعَلُّق القلب وتقييده بها: هُو الحاجب.

قال بعض المشايخ: المُحبُّ من لا سُلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له مع مشيئته.

❑ ❑ ❑

خاتمة الكتاب

فإذا وفَّق الله تعالى العبد لما ذُكر من استعمال التَّقوى والتَّلبُّس بالآداب الشَّرعيَّة؛ وتَطَهُّر الباطن عن التَّعلُّقات: فلا بُدَّ أيضاً من الانفراد وقطع الشَّواغل المُفرِّقة؛ وإن لم يتعلَّق القلب بها، وجمع الهمَّة والعُكوف على صدق الطَّلب والتَّوجُّه إلى قِبلة القُلوب المذكورة أولاً، وإن أمكن الجمع بين التَّوجُّه إلى قِبلة الطَّائفين بالظَّاهر وإلى قِبلة الباطن بالباطن: كان أكمل، ولا بُدَّ من مُفارقة الإخوان البطَّالين؛ والأقران الغافلين، الذين لا يُساعدونه على حقيقة الإسلام والدِّين.

واعلم أنَّ هذا المعنى كالعروس المُفْتِنة بحُسنها وجمالها؛ المُمتنعة على خُطَّابها، تطلب عاشقاً صادقاً في حُبِّها، يبذل في طلبها مُهجته، ويحلو عنده المرارات في طلبها، وتهون عليه المشقَّات في طلب الوُصول إليها، كما قيل: (من عرف ما يطلب: هان عليه ما يبذل)[1].

---

(١) أخرج البيهقيُّ في شُعب الإيمان [باب في شُحِّ المرء بدينه حتَّى يكون القذف في النَّار أحبَّ إليه من الكُفر ـ رقم (١٥٣٣) ـ ٤/ ٢٧٦] عن مُحمَّد بن غالب تمتام قال: كتب إبراهيم بن أدهم إلى سُفيان الثَّوريِّ: (من عرف ما يطلب: هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره: طال أسفه، ومن أطلق أمله: ساء عمله، ومن أطلق لسانه: قتل نفسه).

خليلي قُطَّاع الفيافي إلى الحمى كثيرٌ وأمَّا الواصلون قليل
تروم وصالاً من سُليمى ولم تَجُد بنفسك هل نال الوصال بخيل[1]

وقال آخر[2]:

عمَّن تُسائل من في الدَّار من رجلٍ بزينب بات مشغولاً عن الشُّغُل
قد جرَّحته الصَّبا ممَّا يُكابدها ليلاً وقد تمَّمته نسمة الأُصُل

ومن عرف هذا المعنى: تحقَّق أنَّ هذا السِّرَّ لا يُفتح غالباً إلا على القُلوب الطَّاهرة والقُصود الصَّادقة والهمم المُحترقة؛ المُتخلِّية عمَّا سوى مطلوبها.

وهيهات أن يحصل لها بعض مطلوبها، وكيف بأهل القُلوب المُلوَّثة والأسرار المُقيَّدة المُعانقة لأجزاء الكون بالإرادة والتَّعشُّق؟ إنَّ هذا منهم بعيدٌ!

ومن رزقه الله تعالى هذه الهمَّة العليَّة والتَّخلِّي عمَّا سوى مراده والتَّعرُّض التَّامَّ لبواديه ونفحاته أيضاً عليه شرطٌ آخر: وهُو القصد من السَّير، فبعض الصَّادقين من الطَّالبين لحدَّة عزمه وفرط غرامه: يتعدَّى الأُمور المشروعة؛ ويتحمَّل من المشقَّات ما لا يُطيق.

بل على المُريد أن[3] يتعلَّم السُّنَّة ليستفيد منها معرفة الرَّسول ﷺ؛ ومعرفة آدابه وأخلاقه، ويُمِرُّ السُّنَّة على نفسه قولاً وفعلاً، ويقتصر على ذلك بلا غُلوٍّ ولا انحرافٍ.

---

(١) لم أقف على قائلهما، وقد ذكر البيت الأوَّل: ابن رجب في: [لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: (ص٢٥٢)].

(٢) لم أقف عليهما.

(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ بل على المُريد أن).

فالصَّوم والسَّهر الدَّائم وترك الأسباب التي بها يقوم الوُجود البدنيُّ: كُلُّ ذلك غير مشروعٍ، بل يصوم قصداً؛ ويقوم قصداً، ويقطع قلبه عن الرُّكون إلى الأسباب، ولا يُعامل الله تعالى ولا يتقرَّب إليه إلا بما شرعه في كتابه أو سُنَّة رسوله ﷺ.

ومن خالف ذلك وارتكب أعمالاً شاقَّة غير مشروعةٍ: لم يجد لها ثمرة، وأوهنت[1] بدنه؛ وأضعفته في آخر الأمر عن المشروع والمندوب، وأورثته أحوالاً مُنحرفة ممزوجة بحدَّةٍ وسُوء خُلقٍ، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله.

وليقتصر الطَّالب على الصَّلوات الخمس المشروعة بإكمال وُضوئها والخُشوع والحُضور في رُكوعها وسُجودها.

وبعض النَّاس يعتقد أنَّه خاشعٌ في صلاته، وإنَّما الخُشوع هُو أن لا يخطر له في التِّلاوة غير معاني ما يتلوه فيها، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]؛ قال بقلبه: الحمد لله ربِّ العالمين، ويجتهد أن يكون اللِّسان تبعاً للقلب فيها، فإذا ركع فليخضع بقلبه كما يخضع، وإذا سجد فليسجد بقلبه تواضعاً لربِّه تعالى، ولا يغفل عن شيءٍ منها البتة، فذلك هو الخُشوع، وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وأوهت).

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ١.

(٣) سُورة المُؤمنون: الآيتان ١ ـ ٢.

وفي الجُملة: فليقتصر على المشروع والمسنون الذي سنَّه رسول الله ﷺ ولا يتعدَّاه، بل يخصُّ قلبه فيه، ويعتني بمُعاملة ربِّه به، خُصوصاً في الصَّلاة وفي الأذكار المشروعة في عقبها؛ وما شُرع قبلها من إجابة المُؤذِّن والتَّهجير ومُراعاة(١) الصَّفِّ الأوَّل، واجتناب تخطِّي الرِّقاب، وغيره من السُّنن.

ويستعمل الصَّوم المشروع، ويقتصر عليه، مثل الاثنين والخميس؛ وأيَّام البيض؛ والعشران(٢)، فإنَّ ذلك كافيه، وكذلك يتناول القُوت المشروع وهُو القدر الذي تتمُّ به صحَّته؛ ويقوى ضعفه(٣).

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (ومُراعات).

(٢) وُصفت بالعَشْرَيْن تغليباً، ومقصوده بالعشر الأُولى: اليوم العاشر من شهر المُحرَّم؛ وهُو يوم عاشُوراء. ومقصوده بالعَشْر الثَّانية: اليوم التاسع من شهر ذي الحجَّة الحرام؛ وهُو يوم عرفة. كما أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الصِّيام/ باب استحباب صيام ثلاثة أيَّام من كُلِّ شهرٍ وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ـ الحديث رقم (١١٦٢) ـ ٢/٨١٨ ـ ٨١٩] عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ من كُلِّ شهرٍ؛ ورمضان إلى رمضان: فهذا صيام الدَّهر كُلِّه، صيام يوم عرفة: أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنة التي قبله؛ والسَّنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء: أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنة التي قبله»**.

(٣) أي: يصير مكان ضعفه قُوَّة، والجادَّة أن يُقال: ويبرأ أو يذهب ضعفه، كما أخرج الأصفهانيُّ في [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٩/ ١٢٠] عن الرَّبيع بن سُليمان قال: (مرض الشَّافعيُّ، فدخلت عليه فقلت: يا أبا عبد الله؛ قوَّى الله ضعفك. فقال: يا أبا مُحمَّدٍ؛ لو قوَّى الله ضعفي على قُوَّتي: أهلكني. قُلت: يا أبا عبد الله؛ ما أردت إلا الخير. فقال: لو دعوت الله عليَّ لعلمتُ أنَّك لم تُرد إلا الخير).

وفي الجُملة: فلا يُغيِّر عادته من المآكل والمشروب أصلاً؛ لكن يُنقص منه قليلاً، ويجتنب السَّرف فيه، وكذلك ينام حتَّى يستريح، ويقوم من اللَّيل بالتَّهجُّد المشروع بحزبٍ خفيفٍ لا يشقُّ عليه.

ومع ذلك فيشدُّ عزمه ويجمع همَّته وقصده على التَّورُّع عن المحارم ومُجانبة الفُضول والمآثم، ويكون أغلب همِّه أن لا يعصي ربَّه في جميع نهاره وجميع ليله؛ لا بقولٍ ولا بفعلٍ.

فإن وُفِّق للاقتصار على ذلك: اجتمعت همَّته وتوفَّرت قُوَّته على القيام بما أُمر؛ وشدَّة الانبعاث إلى ما يُحبُّ ويطلب.

وهذا الانبعاث والطَّلب هُو السِّرُّ المطلوب من الصَّادق، فمن النَّاس من تموت همَّته ومحبَّته لشدَّة ما يتعاطاه من الأعمال الشَّاقَّة.

وحَسْب العبد الطَّالب قيامه بأمر ربِّه وتوفُّر همَّته على طلب مُراده مع حفظ قُوَّته وصحَّة مزاجه وعدم انحرافه.

ثُمَّ عليه أن يترجَّى الأوقات الفاضلة، مثل يوم الجُمعة؛ ويوم عرفة؛ والثُّلث الأخير من اللَّيل، فإنَّ فيها تتنزَّل الأنصبة على الطَّالبين، وتلوح البوارق على المُحبِّين والمُشتاقين.

أمَّا يوم الجُمعة: فهُو شبيهٌ بيوم الزِّيادة وأُنموذجٌ منه، إذا اجتمع النَّاس للصَّلاة: تتنزَّل التَّجليَّات على القُلوب الصَّادقة الفارغة من الهُموم؛ المُطلقة من القُيود، وكذلك يوم عرفة، وكذلك أواخر اللَّيل.

وعليه أن يستعمل ما يحلو له من الأذكار، ويجعل عقدة أمره وذروة سنامه: تدبُّر كتاب ربِّه تعالى؛ وفهم خطاب ربِّه تعالى، ويعمل على أن يتعرَّف منه معاني صفاته بقلبٍ طالبٍ وقصدٍ صادقٍ وهمٍّ

مجموعٍ، ويفتقر إلى ربِّه في ذلك، فالفهم والمعرفة فُتوحٌ؛ وهُو هبةٌ، وإنَّما العَمل والتَّدبُّر واسطةٌ وسببٌ.

وإنَّما السِّرُّ في ذلك: أنَّ الله تعالى بعث إليه رسولاً برسالةٍ، فمن اعتنى بالوُقوف على فهمها؛ وغاص في حقائق المُراد منها؛ وطلب تعرُّف صفات المُرسِل المُتعالي منها: كان ذلك هُو طريقةً إلى معرفته حقيقةً، وغير ذلك من الطُّرق فروعٌ وشُعبٌ هذا أصلها.

فافهم هذا السِّرَّ راشداً: تفز إن شاء الله تعالى، فلا تزال كذلك مُجتهداً حتَّى تتحقَّق بمشهد صفة الإلهيَّة، فإنَّها إذا فُتحت جاء الخير؛ وانفتح الباب؛ وانجلى الظَّلام؛ واجتدَّت الأفهام[1]؛ وانجذبت القُلوب.

فقد يظهر للقُلوب من مُشاهدة الإلهيَّة بوارق تلوح للقُلوب أحياناً ولا تدوم، بمثابة البُروق اللَّوامع، فليُلازم حاله ولا يستبطئ عودها، **فإنَّ المواهب على قدر الاستعداد**، فقد لا يكون في هذا الآن مُستعداً لكمال الأمر.

فمنهم من تلوح له البارقة في سنةٍ مرَّة؛ وفي الشَّهر مرَّة؛ وفي الأُسبوع مرَّة، ثُمَّ تتقارب حتَّى تصير في اليوم مرَّة، ثُمَّ متى توجَّه وجد ذلك الحال، ثُمَّ يترقَّى إلى أن يكتسي القلب بصبغته[2]، فيشتغل عنه وهُو غير مُنفصلٍ عنه.

واعلم أنَّ المشاهد تلتبس بالمقاعد، فقد يشهد المُريد مشهداً؛ ولا يكون لقلبه مقعداً، فأوَّل الأمر تكون المشاهد عقائد، ثُمَّ تصير لهم

---

(١) أي: بعد أن بَلِيَت بعد طُول احتجابها عن الفهم والمعرفة.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (بصيغته).

مقاعد، فيروح الواحد يميناً وشمالاً؛ لا في مرضات ربِّه، ثُمَّ يعود إلى مقعده ومركزه، كالفرس تجول ثُمَّ تعود إلى آخيَّته[1].

فعلى العبد الاعتناء بهذا المشهد الأوَّل؛ فإنَّه الباب، فإذا شهده لا يقنع حتَّى يصير له مقعداً، ثُمَّ يُرجى أن يفتح الله عليه ببقيَّة المشاهد المُكمِّلة للأمر الكُلِّيِّ والحال الصِّدِّيقيِّ.

ومن فتح الله عليه بحقائق هذه المشاهد وختم له بالحُسنى عليها: رُجِيَ له أن يتحقَّق حقائقها الذَّاتيَّة في الدَّار الأُخرى في مراتب الكشف والعيان؛ كما حقَّقها في الدُّنيا في مراتب الإيمان والإيقان والإحسان والعرفان، فالذي رُزقوه في هذه الدَّار من الأحوال: نموذجات مقاصد الصِّدق ورقائقها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[2].

والله تعالى بكرمه وإحسانه يُوفِّقنا لما يُقرِّبنا إليه؛ ويُزلفنا لديه، ويُدخلنا في زُمرة أوليائه المُفلحين؛ وحزبه المُقرَّبين، الذين اختصَّهم لنفسه؛ واصطنعهم لقُربه، إنَّه أرحم الرَّاحمين[3].

❏❏❏

---

(١) أي: الحبل الذي يُدفن في الأرض؛ أو العُود الذي يُعرَّض في الحائط؛ فتُشدُّ بها وتُحبس لتلزم موضعاً واحداً.

(٢) سُورة القمر: الآيتان ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (بلغ مُقابلة).

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٦)

مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق

تأليف

الإمام الزاهد الناسك والعالم العابد السالك

عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي

المعروف بابن شيخ الحزاميين

(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر وأعِن

الحمد لله فاتح مغالق القُلوب، ومطهِّرها من أدران الذُّنوب، وجاذبها إلى حضرات المحبوب، ومُثير عزماتها بالشَّوق إلى أوطان القُرب وأكناف مقاعد الصِّدق فهبَّت إليه بذلك كُلُّ الهُبوب.

لاح لها لائحاً من هيبة الجلال؛ وشُعاعاً باهراً من أشعَّة الجمال؛ الذي اتَّصفت به الرُّبوبيَّة في قِدم الأزل وأبد الآباد؛ فامتلأت منه الأرواح وصار لكُلِّ عُضوٍ من ذلك الشَّراب أهنأ مشروبٍ، فاستعمل ذلك النُّورُ القوالبَ والأجسادَ في أصناف القُربات؛ وخالص العُبوديَّات؛ بالمحبَّة الخالصة المشحونة بلواعج(١) الأشواق إلى لقاء المطلوب.

تجلَّى للأرواح من وراء سِتْر شُرَف الغُيوب؛ بأكمل الكمال وأتمِّ الجلال والجمال فعرفته بما تعرَّف إليها من لطائف صفاته؛ ومُقدَّسات نُعوته وأسمائه وحقائق أنوار فردانيَّة ذاته؛ فطارت القُلوب لذلك فرحاً؛ وحَشَاها بهيبة الإجلال فانقبضت مهابة وأدباً؛ فهي شاخصةٌ باهتةٌ خاضعةٌ خاشعةٌ في هيبة الجلال وبهجة الجمال وكيفيَّات القبض والبسط؛ ليتهذَّب به من بقايا العبد المربوب، فأورثه ذلك مُسارعة إلى

---

(١) أي: الهوى المُحرق للفُؤاد.

أوامره؛ وتباعداً عن نواهيه وزواجره؛ واغتناماً لمسنوناته ونوادبه؛ وافتقاراً تامًّا وتبرُّئاً من الحول والقُوَّة إلى حول الله تعالى وقُوَّته؛ فهذه صفات العبد المجذوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُفرِّج الآصار والكُروب.

وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله فاتح الخير والهادي إلى هذه الفضائل فهُو الواسطة بين العبد والمحبوب، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة ما سلك إلى الله طالبٌ ومطلوبٌ.

وبعدُ:

فإنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ عناية يسلك به فيها إلى طريق المُقرَّبين؛ ومقاعد المحبوبين: ألهمه التَّوبة النَّصوح، فيعرف ربَّه سُبحانه من فوق عرشه وفوق سبع سماواته؛ بائناً من خلقه مُستوياً على العرش ـ الاستواء اللائق به ـ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾(١).

والتَّدبير: هُو القيام بأمر المخلوقات من توفيتهم مدد حياتهم؛ وإدرار أرزاقهم، والحكمة التَّامَّة في ابتلائهم: ليبلوهم أيُّهم أحسن عملاً؛ يُحيي هذا ويُميت هذا، ويُمرض هذا ويشفي هذا، ويُعزُّ هذا ويُذلُّ هذا، ويُغني هذا ويُفقر هذا، ويُولِّي هذا ويعزل هذا، فـ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٢).

---

(١) سُورة يُونس: الآية ٣.

(٢) سُورة المُلك: الآيتان ١ ـ ٢.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[(٣)]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[(٥)]. وهذا يدلُّ على أنَّ مُوسى صلوات الله عليه أخبر فرعون بأنَّ ربَّه فوق السَّماوات، فلذلك قال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

فإذا عرف الطَّالب ربَّه سُبحانه وتعالى بأنَّه فوق العرش؛ وفوق السَّماوات؛ وفوق الأشياء كُلِّها ـ فوقيَّة تليق بجلاله ـ: صارت عظمته لقَلبه قِبلة، فتكون العظمة الإلهيَّة قِبلة قَلبه؛ كما تكون الكعبة الشَّريفة قِبلة بدنه، وكان قبل ذلك حائراً في صلاته وتوجُّهه؛ لا يعرف جهة معبوده بأنَّه فوق الأشياء؛ وهُو مع العباد بعلمه وسمعه وبصره ومشيئته وإرادته[(٦)]، فهُو عالٍ في دُنوِّه؛ دانٍ في عُلوِّه.

وأيقن العبد بذلك[(٧)]: توجَّه إليه بالتَّوبة النَّصوح، رفع كفَّ الابتهال في حضرة ذي الجلال، وأبدى توبة نصوحاً خالصة غير التَّوبة التي[(٨)]

---

(١) سُورة النَّحل: الآية ٥٠.
(٢) سُورة فاطر: الآية ١٠.
(٣) سُورة الأنعام: الآيتان ١٨؛ ٦١.
(٤) سُورة النِّساء: الآية ١٥٨.
(٥) سُورة غافر: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.
(٦) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ في معيَّته تعالى مع عباده).
(٧) أي: إذا عرف العبد ربَّه سُبحانه وتعالى بعُلوِّه وأيقن بذلك.
(٨) في النُّسخة الخطيَّة: (الذي).

كان يستعملها بحُكم الإيمان، فإنَّ هذه توبة خاصَّة بحُكم اليقين، وقال: يا ربِّ إنِّي تائبٌ إليك من جميع الذُّنوب والخطايا والتَّقصير في الحُقوق التي بيني وبينك؛ والتي بيني وبين عبادك، فاغفر لي يا كريم يا حليم، ثُمَّ لا يبرح من موضعه ذلك حتَّى يرقَّ قلبه ويخشع سرُّه، فذلك من علامات قبول التَّوبة، ثُمَّ يشرع في قضاء الصَّلوات الفائتة وقضاء الدُّيون والحُقوق والمظالم التي بينه وبين عباد الله؛ إمَّا بالوفاء وإمَّا بالاستحلال، فلا يبرح حتَّى تبرأ ذمَّته من كُلِّ حقٍّ هُو لله، ومن كُلِّ حقٍّ هُو لعباده.

❏ ❏ ❏

فصلٌ

ثُمَّ يُلْزِم نفسه بالمُحاسبة في حركاته وسكناته، فلا يتكلَّم إلا لله، ولا ينظر إلا لله، ولا يسعى ولا يبطش إلا لله، ويُراعي جوارحه السَّبع عن جميع ما كرهه الله وحرَّمه: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل.

فيحفظ العين من النَّظر إلى الصُّور المُحرَّمة، ويحفظ الأُذن من سماع ما كره الله، ويحفظ اللِّسان من النُّطق لغير الله بغير رضا الله، ويحفظ البطن عن الشُّبهات، ويحفظ اليد والرِّجل عن المساعي المكروهة.

فمتى رعى هذه الجوارح من طُلوع الشَّمس إلى غُروبها؛ ومن غُروبها إلى طُلوعها؛ واتَّقى الله عزَّ وجلَّ فيها: فقد أدَّى حُكم المُحاسبة، وقام بحقائق التَّقوى إن شاء الله تعالى.

ويرقى من حُكم المُحاسبة إلى حُكم المُراقبة، فإنَّه متى وفَّى حقَّ الله تعالى في رعاية جوارحه الظَّاهرة وسياستها بحُكم التَّقوى: رفعه ذلك إلى تقوى الله تعالى في هُمومه وخواطره.

قال الله تعالى في الجوارح الظَّاهرة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(١). وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢).

---

(١) سُورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) سُورة ق: الآية ١٨.

وقال تعالى في حقِّ الكُفَّار: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾(1).

وقال تعالى في حُكم المُراقبة الباطنة والظَّاهرة: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ﴾(2). وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(3). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾(4). وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(5).

فحكم المُحاسبة: رعاية جوارحه الظَّاهرة خوفاً من الله تعالى؛ وإقامةٌ لحقِّ تقواه؛ وامتثال أمره واجتناب نهيه.

وحُكم المُراقبة: حراسة باطنه عن أن يجري فيه شيءٌ يكرهه الله تعالى ويسخطه من الأفكار المذمومة والهُموم المُحرَّمة والمكروهة، فإنَّ الله سُبحانه وتعالى مُطَّلعٌ على ذلك عليمٌ به، لا يخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السَّماء.

فمتى وفَّق الله العبد لتوفية حقِّ الله في الخواطر الظَّاهرة والخواطر الباطنة: فقد أدَّى حقَّ الاستقامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ

---

(1) سُورة الكهف: الآية ٤٩.

(2) سُورة الأنعام: الآية ١٢٠.

(3) سُورة المُلك: الآية ١٣.

(4) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(5) سُورة يُونس: الآية ٦١.

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

فلا يزال العبد في المُكابدة حتَّى تطمئنَّ نفسه وتتعوَّد جوارحه على الاستقامة، ويتعوَّد باطنه على حفظ الأدب ورعاية الحُرمات في حضرة الحقِّ.

فمتى اطمأنَّت النَّفس والقلب على ذلك؛ وتعوَّد العبد الاستقامة؛ وأدمن خشية الله تعالى بالغيب ـ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2] ـ: فهناك يكون قد طهَّر الظَّاهر من جميع المكاره، وطهَّر الباطن ـ وهُو القلب الذي هُو بيت الرَّبِّ[3] ـ عن جميع ما لا يُحبُّه الله ويكرهه.

---

(١) سُورة الأحقاف: الآية ١٣.

(٢) سُورة المُلك: الآية ١٢.

(٣) يُصدِّق ذلك: ما أخرجه الطَّبرانيُّ في مُسند الشَّاميِّين [الحديث رقم (٨٤٠) ـ ٢/ ١٩] عن أبي عنبة الخولانيِّ رضي الله عنه يرفعه إلى النَّبيِّ ﷺ قال: (**إنَّ لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربِّكم قُلوب عباده الصَّالحين، وأحبُّها إليه ألينها وأرقُّها**).
وهذا الحديث الشَّريف يُغني عن الحديثيْن اللَّذيْن لا أصل لهما، أوَّلُهما: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المُؤمن: النَّقيِّ التَّقيِّ الوادع اللَّيِّن)، وثانيهما: (القلب بيت الرَّبِّ).
قال ابن تيميَّة في [الرَّدِّ الأقوم على ما في فُصوص الحكم (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة): ٢/ ٣٨٤]: [(يُقال: القلب بيت الرَّبِّ، وهذا هو نصيب العباد من ربِّهم؛ وحظِّهم من الإيمان به، كما جاء عن بعض السَّلف أنَّه قال: (إذا أحبَّ أحدكم أن يعلم كيف منزلته عند الله؟ فلينظر كيف منزلة الله من قلبه؟ فإنَّ الله يُنزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه)].

ومتَّى طهَّر الظَّاهر والباطن: استعدَّ القلب للفيض؛ لأنَّ صاحبه قد كنسه وطهَّره عن المزابل والرَّذائل وعن الأخلاق السَّيِّئة ـ مثل حُبِّ المشيخة والرِّئاسة وحُبِّ قبول الخَلْق واستتباعه لهم ـ، ونفى عن القلب حُبَّ أن يصير له شُهرة بين الخلق في الكرامات والآيات الظَّاهرة؛ ومن الكبر فلا يتكبَّر على مخلوقٍ مثله، والحسد والرِّياء، فلا يُرائي بعمله مخلوقاً[1] غير الله، بل يستعمل الإخلاص لله ولا يُشرك بعبادة ربِّه أحداً، ولا يحسد أحداً على ما آتاه الله من فضله، ولا يعجب بعمله، بل يرى نفسه مُقصِّراً حقيراً عاجزاً عن أداء ما أمره الله تعالى به، ويُحبُّ لجميع المُسلمين ما يُحبُّه لنفسه، ويتواضع لهم فلا يرى نفسه خيراً من مخلوقٍ.

ومثل هذه الأغراض الباطنة إنما ينتبه لها صاحب المُراقبة للخواطر، فكثيرٌ من العُبَّاد والصَّالحين يُكثرون العبادات والنَّوافل والذِّكر والتِّلاوة؛ ويجري في قُلوبهم مثل هذه الخبائث ولا يفطنون لها، فيكون مَثَلُهم كمَثَل مَن اكتسى حُللاً بهيَّة وكُسوة فاخرة ـ وهي ما اكتساه من صالح الأعمال ـ، ومع ذلك فتفيح في بواطنهم روائح خبيثةٌ مُنتنةٌ! فما تفي تلك الرَّائحة المُنتنة بتلك الكُسوة الطَّاهرة.

ومتى اكتسى العبد كُسوة المُحاسبة والأعمال الصَّالحة؛ وراقب القلب واستعان بالله في حفظ خطراته وإقامة تقوى الله فيه؛ وأبدل خواطر الرِّياء بالإخلاص؛ وخواطر العُجب برُؤية منَّة الله تعالى وبُرؤية حقارة نفسه؛ وخواطر الكبر وحُبِّ المشيخة بالتَّواضع ومحبَّة الخُمول وأن لا يُفطن له وأن لا يراه ولا يعلم به أحدٌ غير الله تعالى؛ وخواطر الحسد بمحبَّته لإخوانه المُسلمين ما يُحبُّه لنفسه.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مخلوق).

وفي الجُملة: فيتفطَّن لما يجري على القلب من تجارة الرَّبِّ[1]، فيُطهِّر بيت الرَّبِّ ـ وهُو القلب ـ عن هذه الرَّذائل، ويُبدلها عن مِثْل هذه الأخلاق، ويستعمل مكارم الأخلاق ظاهراً مِثْل البشاشة وطيب المُلاقاة ومحبَّة إدخال السُّرور على الصَّالحين والتَّواضع لهم، هذا مع الذين يأنس قلبه بهم، وأمَّا من يخاف منهم أن يُفسدوا الوقت: فيستعمل معهم المُداراة، ويفرُّ منهم فراره من الأسد، فإنَّ مُباينة من يُفسد الوقت شرطٌ في الطَّريق، فمتى قام بهذه الآداب ظاهراً وباطناً؛ وتعوَّدها واطمأنَّت نفسه عليها: فحينئذٍ يستعدُّ لمواهب الحقِّ إن شاء الله تعالى، فإنَّه أوفى ما عليه؛ وبقي ما يقتضيه الفضل والكرم والجُود، وبالله المُستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

ويُرتجى أن يفتح الله تعالى له إذا اشتغل بحُكم المُحاسبة والمُراقبة: بحُكم النِّيَّة وآدابها، فيعرف النِّيَّة في الحركات والسَّكنات، ومتى عرف النِّية: عرف الإخلاص، فإنَّ النِّية إنَّما يعرفها من صار لقلبه موطنٌ في القيام بين يدي الله تعالى، فإذا أراد أن يتحرَّك أو يتكلَّم: ينظر قلبَه؛ ماذا يُريد بهذا العمل؟ فإن كان لله خالصاً أمضاه، وإن كان لغيره أو مُحْبِطاً أخلصه ونقَّاه.

❑❑❑

---

(١) يُصدِّق ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سُورة التَّوبة: الآيتان ١١١ ـ ١١٢].

فصلٌ

ويُراعي أحكام الصَّلوات الخمس، فلا يُصلِّي صلاة العُموم، وليتعوَّد أن يُصلِّي الفرائض صلاة الخُصوص.

مَثَلاً: إذا سمع النِّداء بالصَّلاة فليعلم أنَّه داعي الله، قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(1).

فينوي برواحه إلى المسجد داعي الله(2)، فليجعل نفسه كأنَّه يزور الله تعالى في بيته، وحقٌّ على المزور أن يُكرم الزَّائر.

فإذا دخل المسجد فليستشعر أنَّه بيت الله، فإذا وقف في المحراب فليعلم أنَّه واقفٌ بين يدي الله تعالى، وأنَّ الله تعالى مُطَّلعٌ عليه؛ ناظرٌ إليه، يسمع نجواه ويعلم ما في ضميره، فإذا قال: الله أكبر؛ فلا يكون في قلبه أكبر من الله.

فإذا شرع في القراءة: فليجعل معاني القراءة عوضاً عن حديث النَّفس، فلا يُحدِّث نفسه بغير ما يتلو، ومتى فعل ذلك: كان مَثَله كَمَثَل رجلٍ يقول بلسانه شيئاً؛ ويتحدَّث بقلبه شيئاً آخر، وذلك نقصٌ في الصَّلوات؛ وعيبٌ في حضرة الحقِّ، لكن يجعل النَّاطق هُو القلب.

فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(3)؛

---

(1) سُورة الأنفال: الآية ٢٤.

(2) أي: إجابة داعي الله تعالى.

(3) سُورة الفاتحة: الآيتان ٢ ـ ٣.

فليجعل النَّاطق هُو القلب، ويجعل اللِّسان ترجُماناً يترجم عمَّا نطق القلب به.

والنَّاس في الصَّلاة أربعة أصنافٍ: منهُم من يُصلِّي بظاهره ويقول بلسانه وقلبه، يتحدَّث بغير ما يُناجي به ربَّه بلسانه، وهذه صلاة الغافلين.

ومنهم: من يقرأ بلسانه ويُطالب قلبَه بالحُضور مع المعاني، وهذه صلاة المُجاهدين المُكابدين.

ومنهم: من يقرأ بقلبه(١)، فيُكون القلب هُو النَّاطق بالقراءة، ويكون اللِّسان مُترجماً عمَّا استكنَّ في القلب، فهذه صلاة المُريدين الأوَّابين؛ الذين اطمأنَّت نُفوسهم وقُلوبهم بذكر الله.

ومنهم: مَن إذا قال: الله أكبر؛ غاب سرُّه في مُطالعة عظمة الكبرياء، والتبسه جلاليب الجلال، وأشرقت على سرِّه شُموس الجمال، واكتنفته أنوار المعارف من جميع جهاته، وقرب الجبَّار من قلبه، ففني بالله؛ وبقي به(٢)، وصارت حركاته به، ويبقى وُجوده شبحاً

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (قلبه).

(٢) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ١/ ٣١٥]: (والجامع لهذا كُلِّه: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصداً، وحقيقة هذا النفي والإثبات الذي تضمنته هذه الشَّهادة: هو الفناء والبقاء، فيفنى عن تأليه ما سواه علماً وإقراراً وتعبُّداً، ويبقى بتأليهه وحده، فهذا الفناء وهذا البقاء: هو حقيقة التَّوحيد الذي عليه المُرسلون؛ وأُنزلت به الكُتب؛ وخُلقت لأجله الخليقة؛ وشُرعت له الشَّرائع؛ وقام عليه سُوق الجنَّة؛ وأُسِّس عليه الخلق والأمر، وحقيقته أيضاً: البراء والولاء، البراء من عبادة غير الله؛ والولاء لله).

كالخيال والظِّلال؛ في حضرة ذي الجلال، واحتوشت قلبه نيران المحبَّة والوجدان، واكتست نفسه المخافة والمهابة من حضرة الدَّيَّان، وامتحت الأكوان من سرِّه لِمَا باشر قلبه من أنوار الفردانيَّة، فمِثْل هذا إذا قرأ يعلم ما يقول؛ ومع من يقول، وهذه صلاة المُقرَّبين.

ومَن فتح الله عليه بمِثْل هذه الصَّلاة؛ وحدَّثته نفسه بأنَّه قد وصل وصار كذا وكذا: فقد دخل عليه الشَّيطان من حيث لا يشعر، وتحرَّكت النَّفس عليه من حيث لا يفطن، وذلك لغفلته عن حُكم المُراقبة الباطنة.

فيجب على الطَّالب إتقان هذا الباب وإحكامه؛ كي لا يُفسد النَّفسُ والشَّيطانُ أعماله وأحواله من حيث لا يشعر، بل من فتح الله عليه بمِثْل هذا الحال في الصَّلاة وغير الصَّلاة: فليعرف عجز نفسه وقُصورها، وكونه لا يدري عواقبها ولا يدري ما يُختم له، ويذكر منَّة الله تعالى وفضله وكرمه، فيفنى عن نفسه برُؤية فضل الله وكرمه، فيكون باقياً به؛ فانياً عن نفسه، وذلك يُدْرَك بفضل الله؛ وبدوام الاستعانة والاستغاثة، وبالله المُستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

وكذلك في الرُّكوع والسُّجود، فليُطالب قلبه بالخُضوع الباطن كما قد ظهر على ظاهره من الخُضوع الظَّاهر؛ ليتَّفق الظَّاهر والباطن، فكثيرٌ من يخضع ببدنه في الرُّكوع والسُّجود؛ وقلبه غير خاشعٍ ولا خاضعٍ لله تعالى.

❑ ❑ ❑

فصلٌ

ومن الأدب في التِّلاوة: الحُضور والفهم والشُّعور بأنَّ القُرآن رسالة الله إلى كُلِّ عبدٍ، وأنَّ هذا دعوةٌ عامةٌ لجميع الخلق، وأنَّ هذا العبد التَّالي منهم.

فإذا شرع في القراءة: فليستحضر الرَّسول ﷺ بسرِّه، وليُصلِّ عليه، وليُعظِّم شأنه وحُرماته كما كان يفعله لو رآه بعينه، وليجعله الواسطة بينه وبين مولاه، فيجعله إمامه ومُؤدِّبه ومُرشده، وليعمل على كمال الاقتداء به والتَّأدُّب به في حركاته وسكناته وأكله وشُربه وعاداته، ويُواظب على مُطالعة سيرته وسُنَّته.

وليجعل المشايخ وسائط بينه وبين الرَّسول ﷺ(١)، فإنَّه ﷺ هُو الواسطة القريب منه، وإنَّ الله تعالى تعرَّف إلينا من جهته، وتجلَّى علينا

---

(١) قال ابن تيميَّة في [الواسطة بين الخلق والحقِّ (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة): ١/ ١٢٥ ـ ١٢٦]: (ومن سِوَى الأنبياء ـ من مشايخ العلم والدِّين ـ فمن أثبتهم وسائط بين الرَّسول وأُمَّته؛ يُبلِّغونهم ويُعلِّمونهم ويُؤدِّبونهم ويقتدون بهم: فقد أصاب في ذلك. وهؤلاء إذا أجمعوا: فإجماعهم حُجَّةٌ قاطعةٌ؛ لا يجتمعون على ضلالةٍ، وإن تنازعوا في شيءٍ: ردُّوه إلى الله والرَّسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق؛ بل كُلُّ أحدٍ من النَّاس يُؤخذ من كلامه ويُترك؛ إلا رسول الله ﷺ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: (**العُلماء ورثة الأنبياء، فإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافرٍ**)).

بواسطته، فيجب علينا معرفته ومحبَّته واستحضاره وكثرة الصَّلاة عليه وتعظيم حُرماته.

فإذا شرع التَّالي في التِّلاوة: فليجعل نفسه كأنَّه يسمعه من الرَّسول ﷺ؛ يُبلِّغ القُرآن عن ربِّه عزَّ وجلَّ، فيتلقَّاه العبد بسرِّه من الرَّسول ﷺ، فإنَّه إذا فعل ذلك يُرجى أن يفتح الله له بأن يشهد بسرِّه المُتكلِّم سُبحانه وتعالى ويسمعه بعد ذلك كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه[1]؛ فينتبه قلبه حينئذٍ للفهم عن الله عزَّ وجلَّ، ويشعر القلب بوعد الله

---

(١) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [رسالته إلى أحد إخوانه (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع الرَّسائل): ٤٤ ـ ٤٥]:
(مشهد الإحسان: وهو مشهد المراقبة، وهو أن يعبد الله كأنَّه يراه، وهذا المشهد إنَّما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، حتَّى كأنَّه يرى الله سُبحانه فوق سمواته مُستوياً على عرشه، يتكلَّم بأمره ونهيه، ويُدبِّر أمر الخليقة، فينزل الأمر من عنده ويصعد إليه، وتُعرض أعمال العباد وأرواحهم عند المُوافاة عليه، فيشهد ذلك كُلَّه بقلبه، ويشهد أسماءه وصفاته، ويشهد قيُّوماً حيًّا سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً، آمراً ناهياً، يُحبُّ ويُبغض، ويرضى ويغضب، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد، وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيءٌ من أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم، بل يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور.
ومشهد الإحسان: أصل أعمال القُلوب كُلِّها، فإنَّه يُوجب الحياء والإجلال والتَّعظيم والخشية والمحبَّة والإنابة والتَّوكُّل والخُضوع لله سُبحانه والذُّلَّ له، ويقطع الوسواس وحديث النَّفس، ويجمع القلب والهمَّ على الله، فحظُّ العبد من القُرب من الله: على قدر حظِّه من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصَّلاة، حتَّى يكون بين صلاة الرَّجليْن من الفضل: كما بين السَّماء والأرض، وقيامهما ورُكوعهما وسُجودهما واحدٌ).

ووعيده وتخويفه وتحذيره، ويتنبَّه لقصصه وأخباره ومواعظه وأنبائه، فيكون كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[1].

وذلك الأوَّل هُو قراءة المُريدين، وهذه القراءة هي قراءة العارفين.

ولا بُدَّ من توفية الرُّتبة الأُولى؛ ليرتقي العبد إذا وفَّاها إلى الرُّتبة الأُخرى، وإنَّما هي درجاتٌ بعضها فوق بعضٍ، وبالله المُستعان.

❑❑❑

(١) سُورة البقرة: الآية ١٢١.

فصلٌ

وعلى السَّالك أن يتعلَّم رُبع العبادات[1] وغيره ممَّا يفتقر دينه إليه، بحيث يعلم فرائض الوُضوء والصَّلاة وسُننهما وشُروطهما؛ وما يُفسد الصَّلاة والوُضوء، وغير ذلك من الأحكام، فمن لا يعلم حُدود فرائضه: كيف يرتقي له عملٌ؟

وبعد ذلك يسأل عمَّا يعرض له من الأحكام؛ ليكون عارفاً بحُدود فرائضه ونوافله وواجباتها وسُننها.

❑❑❑

(١) أي العبادات الخمس: الطَّهارة؛ والصَّلاة؛ والزَّكاة؛ والصِّيام؛ والحجُّ.

فصلٌ

وعلى الطَّالب أن يعبد الله تعالى بالنُّصح له وإتقان الأعمال، فلا يُعامله بالكسل وقلَّة المُبالاة، فالقوم إنَّما وصلوا ـ بعد التَّوفيق ـ إلى معالي الدَّرجات: لكونهم عاملوا مولاهم بالنُّصح لا بالكسل، نصحوه كما ينصح العبد البارُّ لسيِّده إذا بعثه في مُهمٍّ من مُهمَّاته؛ أو حاجةٍ من حوائجه، فإنَّه يجتهد على إيقاع تلك الحاجة على أكمل الوُجوه التي تُرضي سيِّده، بخلاف الكسلان الذي لا يُبالي أيَّ حاجةٍ اشترى؛ أو أيَّ شيءٍ أتى به سيِّده.

والعدل يقتضي أن يُعامل المُتهاون الكسلان بجنس[1] عمله، ويُعامل النَّاصح بالنُّصح، فإنَّ السَّيِّد إذا رأى عبده قد نصحه في حوائجه: نصحه وتولاه في ملبوسه وحوائجه وضروراته بأحسن الأشياء وأنفسها عنده، فلا يدع حاجة إلا قضاها، ولا ضرورة إلا سدَّها بأكمل ما يقدر عليه ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[2].

فكذلك العبد إذا عامل ربَّه تعالى بالنُّصح ـ في فرائضه وأوامره واجتناب مناهيه ونافلته وصلاته باللَّيل والتَّدبُّر في تلاوته، واستعمل ما أمره به المولى من رعاية ظاهره وباطنه من المُحاسبة والمُراقبة،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (بحسن).

(٢) سُورة النَّبأ: الآية ٢٦.

وتبديل الأخلاق السَّيِّئة بمحاسن الأخلاق المرضيَّة، واستعمال مكارم الأخلاق التي أمره بها، ولم يدع جُهداً في ذلك كُلِّه، وأتى بالنُّصح التَّامِّ من جميع ما يقدر عليه ـ: فإنَّه يُرجى أن ينصحه الله تعالى في جزائه ومُعاملته، فيتولاه ويتَّخذه عبداً ويصطنعه لنفسه، ولا يدع له ضرورة إلا سدَّها؛ ولا حاجة إلا قضاها، اختار له فيها ما يُحبُّه ويرضاه، فإنَّه عامله بالنُّصح، فاقتضى أن يُجازى بالنُّصح، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[1]، وبالله المُستعان.

❑❑❑

---

(١) سُورة النَّبأ: الآية ٢٦.

فصـلٌ

وعلى المُريد استعمال الطَّريق الوسط بين الإفراط والتَّفريط، فلا يحمل نفسه في المُكابدة فوق طاقتها، ولا يُقصِّر عنها فتطغى النَّفس وتتجاوز حدَّها، فيستعمل من الصَّوم والفطر؛ والتَّقليل والتَّكثير؛ والغنى والفقر؛ والتَّنعُّم والتَّقشُّف: الوسط من ذلك، فإنَّ الوسط طريقٌ آمنٌ، والانحراف إلى إحدى الجهتيْن خطرٌ، فيصوم تارة ويُفطر أُخرى، ويتنعَّم تارة ويتقشَّف أُخرى، إذا رأى النَّفس قد قويت: أضعف سُلطانها بالصَّوم والتَّقلُّل؛ قدراً مُناسباً لا مُفرِّطاً، إذا وجدها قد ضعفت أو كادت أن تنحرف: أدخل عليها من الرِّفق والشَّهوات المُباحة ما يعتدل به حالها.

فيكون مداره على الاعتدال؛ لأنَّ الرِّياضة مقصودةٌ لغيرها لا لذاتها، وإنَّما يُقصد بها اعتدال طبيعة النَّفس كي لا تطغى وتجمح وتستعصي.

ومن كانت نفسه مُنقادة مُطيعة مُطمئنَّة لا تحتاج إلى عناءٍ وتقشُّفٍ وإفراطٍ: فإنَّ هذا الانقياد من النَّفس هُو المطلوب، وبالله المُستعان.

❑❑❑

فصلٌ

فإذا استعان العبد بربِّه؛ واستعمل ما في هذه الكُرَّاسة؛ وعامل الله عزَّ وجلَّ بها مُجتهداً مُخلصاً: فقد صار له طريقٌ إلى ربِّه؛ يُرجى أن يُفتح له بذلك ما وراء ذلك من الأبواب التي لم نذكرها هُنا، فإنَّ الطَّريق يكشفها الله تعالى لعبده السَّالك بعضها ببعضٍ، ويرميه بعضها على البعض الآخر؛ حتَّى يستوفي أقسام الخيرات بوُصوله إلى قلبه واشتغاله به بعد استقامة جوارحه على أمر الله تعالى، وطُمأنينة نفسه على مُراد الله تعالى، فهُناك يُرجى أن يبدو له من الله تعالى ما لم يكن يحتسبه من انفتاق موادِّ المعارف على القُلوب والأرواح، ووُجود خالص المعرفة، وشُرب رائق المحبَّة، واستعمال العُبوديَّة لله تعالى بترك التَّدبير والاختيار.

أوَّل ذلك: لائحٌ يلوح بسرِّه لا يدوم، يبتهج القلب بذلك اللائح محبَّة، وتكتسب الرُّوح إلى العليِّ الأعلى جذبة، ثُمَّ يعود إلى حاله الأوَّل، ثُمَّ يعود ذلك عليه قليلاً.

فيكون العبد بين التَّجلِّي والاستتار[1]؛ إلى أن يكشف الله عزَّ وجلَّ

---

(١) التَّجلِّي: هُو إشراق نُور المعرفة والإيمان على العبد، واستغراق قلبه في شُهود الذَّات المُقدَّسة وصفاتها: استغراقاً علميًّا، والاستتار: هُو ما يستره الرَّبُّ سُبحانه وتعالى عن العبد رحمة به؛ ولُطفاً بضعفه، إذ لو دام له حال التَّجلِّي: لألفه واعتاده؛ ولم يقع منه موقع الماء من ذي الغُلَّة الصَّادي؛ ولا موقع الأمن من الخائف؛ ولا موقع الوصال من المهجور، =

عن العبد حجاب الوُجود، ويطلع صُبح التَّوحيد وقمره، وتبزغ شُموس المعرفة، وينمحي ليل الوُجود بطُلوع فجر التَّوحيد.

فيذهب في ذلك من لم يكن، ويبقى من لم يزل، مُتَّصفاً بجلاله وجماله وكماله وبهائه وسنائه، قائماً بالصُّنع والتَّدبير والإرادة والمُراقبة والجلال والجمال والأمر والنَّهي.

فيبقى بعد فنائه بربِّه، ويغيب بصفاته عن صفات نفسه ثُمَّ يبقى بها، فتذهب رُعونات العبد وتدبيره واختياره ومُراده وشهواته، ويبقى العبد حينئذٍ بأمر الله واجتناب نهيه وحُسن تدبيره واختياره.

والعبد ذاهبٌ في ذلك كُلِّه، والله عزَّ وجلَّ هُو المُتولِّي له في سائر شُؤونه وحاجاته.

كما قيل:

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه   ولاح صباحٌ كُنت أنت ظلامه

= فإنَّه لمَّا ذاق مرارة الاستتار: عرف حلاوة التَّجلِّي، فإنَّ الأشياء تتبيَّن بأضدادها، فمن رحمة الله تعالى بعبده: أن ردَّه إلى أحكام البشريَّة ومُقتضى الطَّبيعة، وليُعرِّفه أنَّ عطاء التَّجلِّي ليس لسببٍ من العبد، وإنَّما هُو مُجرَّد موهبةٍ وصدقةٍ تصدَّق الله تعالى بها عليه لا يبلغها عمله؛ ولا ينالها سعيه، ليعرف عزَّ الله تعالى في منعه؛ وبرَّه في عطائه، فينفتح على قلبه من معرفة الأسماء والصِّفات ـ بسبب هذا التَّجلِّي والاستتار ـ: أُمورٌ عجيبةٌ غريبةٌ يعرفها الذَّائق لها، ويُنكرها من ليس من أهلها. مُلخَّصٌ من كلام ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٤/٩ ـ ١٣)].

وأنت حجاب القلب عن سرِّ غيبه ولولاك لم يُطبع عليه ختامه[1]

وقيل أيضاً[2]:

من كان في ظُلم اللَّيالي سارياً رصد النُّجوم وأوقد المِصباحا
حتَّى إذا ما البدر أرشد ضوؤه ترك النُّجوم وراقب الإصباحا
حتَّى إذا انجاب الظَّلام بأسره ورأى الصَّباح بأُفْقِه قد لاحا
ترك المسارج والكواكب كُلَّها والبدر وارتقب السَّنا الوضَّاحا

فنسأل الله الكريم أن يأخذ بأيدينا في هذا السَّفر، ولا يكلنا إلى نُفوسنا ولا يُولِّينا بعضنا، ولا يجزينا وصفنا، ونسأله أن يُعاملنا بما هُو أهله، فإنَّه أهل التَّقوى والمغفرة، ويأخذ بأيدينا في ظُلمات الشُّكوك، ويُنوِّر علينا فيها بأنوار اليقين، إنَّه وليُّ الفتح المُبين.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) ذكرهما تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين (٢/ ٥٠٦)، وذكر تتمَّتهما:

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه ولاح صباحٌ كُنت أنت ظلامه
فإن غبت عنه حلَّ فيه وطنَّبت على منكب الكشف المصون خيامه
فأنت حجاب القلب عن سرِّ غيبه ولولاك لم يُطبع عليه ختامه
وجاء حديثٌ لا يُملُّ سماعه شهيٌّ إلينا نشره ونظامه
إذا ذكرته النَّفس زال عناؤها وزال عن القلب المُعنَّى قتامه

(٢) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: (ص٧٨)] دون نسبتها لقائلها، وعزاها ابن ناصر الدِّين في [توضيح المُشتبه: (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)] إلى المُؤلِّف: ابن شيخ الحزَّاميِّين، وفي النُّسخة الخطيَّة: (ظُلم اللَّيل).

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٧٧)

مِفْتَاحُ طَرِيقِ المُحِبِّينَ وَبَابُ الأُنْسِ لِرَبِّ العَالَمِينَ

تأليف
الإمامِ الزاهِدِ الناسِكِ والعالِمِ العابِدِ السالِكِ
عِمادِ الدِّينِ أبي العبَّاسِ أحمدَ بن إبراهيمَ الواسِطيِّ
المعروف بابن شيخ الحزَّاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على تواتر نعمائه؛ وتوالي آلائه.

حمداً كثيراً يصعد إليه في شُموسه وعلائه، تلوح أمارات القبول على صفحاته وأرجائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُوحِّدٍ في مقاصده وإنجائه(١).

وأشهد أنَّ مُحمَّداً ﷺ عبده ورسوله المُسدَّد في جميع أعماله وآرائه.

صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة ملء أرضه وسمائه.

وبعدُ:

فإنَّ الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً: أقام فيه شاهداً من ذكر الآخرة، يُريه فناء الدُّنيا وبقاء الآخرة ودوامها، فيزهد في الفاني ويرغب في الباقي، فيبدأ بالسَّير والسُّلوك في طريق الآخرة.

---

(١) أي: ما يُنجيِّه ويُخلِّصه.

وأوَّل السَّير فيها: تصحيح التَّوبة.

والتَّوبة لا تصحُّ إلا بالمُحاسبة ورعاية الجوارح السَّبع: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل عن جميع المحارم والمكاره والفُضول.

هذا أحد شطري الدِّين، ويبقى[1] الشَّطر الآخر وهُو القيام بالأوامر، فيُحقِّق الشَّطر الأوَّل وهُو ترك المناهي من قالَبه وقلبه.

أمَّا القالَب: فلا يعصي الله بجارحةٍ من جوارحه، ومتَّى زلَّ أو أخطأ تاب.

وأمَّا القلب: فيُنقِّي منه المُوبقات والمُهلكات، مثل: الرِّياء والعُجب والكبر والحسد والبُغض ـ لغير الله وبُغض الدُّنيا ـ وردِّ الحقِّ واستثقاله والازدراء بالخَلْق ومقتهم، وغير ذلك من الكبائر القلبيَّة التي هي في مُقابلة الكبائر القالَبيَّة ومثلها من شُرب الخمر والزِّنا والقذف وغير ذلك، فهذه كبائر ظاهرةٌ؛ وتلك كبائر باطنةٌ تُحبط الأعمال.

فمن انطوى على شيءٍ من الكبائر الباطنة ولم يتب: حبط عمله، والدَّليل على ذلك: الأخبار والآثار، فمنها ما في الحديث: **(لا يدخل الجنَّة من في قلبه أو رأسه مثقال ذرَّةٍ من كبرٍ)**[2].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (هذا أحد شطري، ويبقى).

(٢) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب تحريم الكبر وبيانه ـ الحديث رقم (٩١) ـ ١/ ٩٣] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، ولفظه: **(لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كبرٍ)**.

وجاء: (**إنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب**)(١).

وجاء: (**يقول الله: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري: تركته وشريكه**)(٢).

وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٣).

وقد جاء: (**من قال: هلكت النَّاس؛ فهُو أهلكهم**(٤)).

❑❑❑

---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه [كتاب الأدب/ باب في الحسد ـ الحديث رقم (٤٩٠٣) ـ ص٧٣٥] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، وابن ماجه في سُننه [كتاب الزُّهد/ باب الحسد ـ الحديث رقم (٤٢١٠) ـ ص٦٩٨] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، ولفظ أبي داود: (**إيَّاكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب**).

(٢) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الزُّهد والرَّقائق/ باب من أشرك في عمله غير الله ـ الحديث رقم (٢٩٨٥) ـ (٤/ ٢٢٨٩)] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: (**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري: تركته وشركه**).

(٣) سُورة الكهف: الآية ١١٠، وقد سقطت من النُّسخة الخطيَّة: ﴿أَحَدًۢا﴾.

(٤) قال الحُميديُّ في [الجمع بين الصَّحيحيْن: (٣/ ٢٨٧)]: (قال بعض الرُّواة: لا أدري (أهلكَهم) بالنَّصب؛ أو (أهلكُهم) بالرَّفع، كذا قال، والرَّفع أشهر، أي: أشدُّهم هلاكاً، وذلك إذا قال على سبيل الإزراء عليهم بالاحتقار لهم؛ وتفضيل نفسه عليهم؛ لأنَّه لا يدري سرائر الله في خلقه، وهكذا كان بعض عُلمائنا يقول، والله أعلم بما أراد رسول الله ﷺ).

قال النَّوويُّ في [شرح صحيح مُسلمٍ: (١٦/ ١٧٥)]: (وأما رواية الفتح =

فصلٌ

ومتى تنقَّى القلب من مِثل هذه الخبائث والرَّذائل: طهر، وسكن فيه الرَّحمة في مُقابلة البُغض؛ والتَّواضع في مُقابلة الكبر؛ والنَّصيحة في مُقابلة الغشِّ؛ والإخلاص في مُقابلة الرِّياء والسُّمعة؛ ورُؤية المنَّة في مُقابلة العُجب ورُؤية النَّفس، فعند ذلك تزكو الأعمال وتصعد إلى الله تعالى، ويطهر القلب ويبقى محلاً لنظر الحقِّ بمشيئة الله تعالى ومعونته.

فهذا أحد شطري الدِّين؛ وهُو رعاية الجوارح السَّبعة عن المآثم والمحارم، ورعاية الباطن والقلب عن مُوبقات الجرائم.

❑ ❑ ❑

= فمعناها: هُو جعلهم هالكين؛ لا أنَّهم هلكوا في الحقيقة. واتَّفق العُلماء على أنَّ هذا الذَّمَّ إنَّما هُو فيمن قاله على سبيل الإزراء على النَّاس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم؛ وتقبيح أحوالهم؛ لأنَّه لا يعلم سرَّ الله في خلقه. قالوا: فأمَّا من قال ذلك تحزُّناً لما يرى في نفسه وفي النَّاس من النَّقص في أمر الدِّين: فلا بأس عليه).

والحديث أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب البرِّ والصِّلة والآداب/ باب النَّهي من قول هلك النَّاس ـ الحديث رقم (٢٦٢٣) ـ (٤/ ٢٠٢٤)] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: (**إذا قال الرَّجل: هلك النَّاس. فهُو أهلكهم**).

فصلٌ

وأمَّا الشَّطر الآخر من الدِّين: فهُو القيام بالأوامر، ولا يتمُّ القيام بها حتَّى ينصح لله تعالى فيها كما ينصح العبد البارُّ النَّاصح لسيِّده إذا بعثه في مُهمٍّ من حوائجه، فإنَّه يبذل نُصحه وموجوده حتَّى يُوقع الحاجة على أكمل الوُجوه وأحسنها، يتقرَّب بذلك إلى سيِّده ليرضى عنه ويُحبَّه.

وكذلك العبد إذا توجَّه عليه أمرٌ من أوامر الله تعالى مثل صلاةٍ أو صومٍ أو زكاةٍ أو قضاء فائتٍ أو قضاء دينٍ أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن مُنكرٍ أو حقٍّ من الحُقوق التي بينه وبين الله تعالى أو بينه وبين عباده، فإنَّه ينصح لله في ذلك العمل ويبذل فيه مجهوده، ويُوقعه على أتمِّ الوُجوه وأكملها، إن كانت صلاة خشع فيها لله تعالى بقلبه وخضع وحضر بين يدي الله تعالى بقلبه وفُؤاده وتضرَّع إليه، والتجأ فيها بسرِّه إليه، وإن كان الحقُّ صياماً حفظه من الغيبة والنَّميمة والنَّظر إلى كُلِّ قادحٍ يقدح فيه، وهذه الأعمال لا يقوى على القيام بها إلا المُحبُّون.

والمحبَّة تُسهِّل[1] هذه الأشياء الشَّاقَّة على المُحبِّ الصَّادق، ولا يقوى على ذلك العبد السَّالك إلا بمعونة الله تعالى وفضله، فعليه بدوام الالتجاء إلى ربِّه ليُعينه في سائر أُموره وسائر شُؤونه، كما علَّمنا في الصَّلوات الخمس أن نُناجيه، ونقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[2].

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يُسهِّل).

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

فلا بُدَّ من العمل والصَّبر والمُكابدة والمُجاهدة، فبذلك تتمُّ العبادة، ولا بُدَّ من الاستعانة والالتجاء فإنَّه لا مُعين إلا الله.

فتكميل شَطْرَيِ الدِّين أمرٌ لازمٌ؛ لا يتمُّ الإسلام والإيمان والسُّلوك إلا بهما، ومن لم يُصحِّح ذلك ولم ينفذ: فمَثَل ذلك كمَثَل زارعٍ قمحاً وشوكاً، فالقمح ينبت قَطْعاً، لكن مُجاورة الشَّوك ومُزاحمته إيَّاه تُفسده، كذلك مُوبقات الأعمال الظَّاهرة والباطنة تُفسد الأعمال وتمحقها؛ كما يُفسد الشَّوك ما حوله من النَّبات، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

ولا يتمُّ تكميل شَطْرَيِ الدِّين إلا بصحَّة الاعتقاد ومحبَّة الرَّسول ﷺ، وصحَّة الاعتقادات بإثبات[1] صفات الرَّبِّ تعالى كما يليق به، أوَّلها: صفة العُلوِّ، فيعتقد أنَّ ربَّه سُبحانه وتعالى عليٌّ فوق الأشياء كُلِّها والكائنات، ينظر إلى عباده من فوق عرشه ويعلم ما هُم عاملوه، ويسمع ما هُم قائلوه، ويُدبِّر ما هُم فاعلوه، ويُريد ما هُم مكتسبوه، فإذا أيقن القلب بذلك بلا تكييفٍ ولا تشبيهٍ: يُرجى أن يتمَّ بذلك سير العبد في سُلوكه بمعونة الله تعالى.

وأمَّا محبّة الرَّسول ﷺ: فهي أن يتَّخذه السَّالك نبيَّه وأُستاذه وشيخه ومُؤدِّبه، فيجمع همَّه عليه دُون كُلِّ شيخٍ ومُؤدِّبٍ وأُستاذٍ، ويعكف على مُطالعة سيرته واستماع سُنَّته، ويُطالب نفسه بالاتِّباع للرَّسول ﷺ في جُزئيَّات المُتابعة وكُلِّياتها، ولا يُسامح نفسه أن يترك سُنَّة من السُّنن، مثل السِّواك والتَّهجُّد والصَّفِّ الأوَّل وميامن الصُّفوف والقُرب من الإمام

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (بثبت).

وحُضور التَّكبيرة الأُولى والتَّهجير إلى المسجد والتَّيمُّن في اللِّباس والأفعال وغير ذلك، فبذلك يكمل الاتِّباع للرَّسول ﷺ ويصحُّ الحُبُّ له.

ومتى صحَّت محبَّة الرَّسول ﷺ واتِّباعه: يُرجى للعبد أن يُحبَّه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١).

وجميع ما ذكرنا(٢) من التَّوبة والمُحاسبة والرِّعاية والخُشوع في الصَّلاة: فكُلُّ ذلك من جُزئيَّات المُتابعة للرَّسول ﷺ، والمُتابعةُ أصلٌ جامعٌ لجميع الخيرات، والله المُوفِّق للصَّواب.

ومن جُزئيَّات المُتابعة: التَّهجُّد والمُواظبة عليه، فإنَّ الرَّسول ﷺ أخبرنا بأنَّ الرَّبَّ ينزل إلى سماء الدُّنيا في ثُلث اللَّيل الآخر فيقول: (**هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مُستغفرٍ فأغفر له؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ ولا يزال كذلك حتَّى يطلع الفجر**)(٣).

وقد جاء في الحديث: (**أقرب ما يكون من عبده في جوف اللَّيل الآخر**)(٤).

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: أصلٌ جامعٌ).

(٣) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب صلاة المُسافرين وقصرها/ باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر اللَّيل والإجابة فيه ـ الحديث رقم (٧٥٨) ـ ١/ ٥٢٣] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وأبي هُريرة رضي الله عنهما، ولفظه: (**إنَّ الله يُمهل؛ حتَّى إذا ذهب ثُلث اللَّيل الأوَّل: نزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: هل من مُستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتَّى ينفجر الفجر**).

(٤) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١٧٠٢٦) ـ ٢٨/ ٢٥٠]، والتِّرمذيُّ في سُننه [كتاب الدَّعوات/ باب (١١٩) ـ الحديث رقم (٣٥٧٩) ـ ص٨١٣]،

فالمُريد ينبغي له أن لا يفوته ذلك الوقت، فإنَّه وقتٌ يفتح المَلك بابه، فيتعيَّن علينا أن نرجو[1] ذلك الوقت، ومن واظب على التَّهجُّد في جوف اللَّيل: يُرجى له نصيبٌ من أنصبة المُقرَّبين إن شاء الله تعالى، ويُرجى أن يرقى[2] من محبَّة الرَّسول ﷺ إلى محبَّة مُرسله سُبحانه، ويترقَّى إلى فهم كلامه سُبحانه وهُو القُرآن المجيد، وتَتَبُّع رُؤية تجلِّيات الصِّفات المُقدَّسة، فيرقى بذلك إلى مواطن القُرب والمحبَّة الخاصَّة بمعونة الله تعالى وتوفيقه.

❑❑❑

والنَّسائيُّ في سُننه [كتاب المواقيت/ باب النَّهي عن الصَّلاة بعد العصر ـ الحديث رقم (٥٧٢) ـ (ص٩٧)]، وابن ماجه في سُننه [أبواب إقامة الصَّلوات والسُّنَّة فيها/ باب ما جاء في أيِّ ساعات اللَّيل أفضل ـ الحديث رقم (١٣٦٤) ـ (ص٢٤٢)] عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، ولفظ التِّرمذيِّ: (**أقرب ما يكون الرَّبُّ من العبد في جوف اللَّيل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك السَّاعة فكُن**).

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (نرجي).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (يرقون).

فصلٌ

والمرتبة الثَّانية من السُّلوك: فهي الطَّلب والإرادة والشَّوق إلى الوُصول والقُرب، وهذا شأن من ذاق بقلبه شيئاً من اللَّوائح[1] الإيمانيَّة، ووجد آثار الصِّفات المُقدَّسة اليقينيَّة، ومتى ذاقت القُلوب شيئاً من ذلك: لم يهنها عيشٌ حتَّى تبلغ من ذلك الذَّوق إلى غايته وكماله ونهايته.

وكان مَثَل هذا الذَّائق لها: كمَثَل شخصٍ رأى من وراء حُجُبٍ كثيفةٍ شيئاً من لمحات محبوبٍ فاق كُلَّ شيءٍ في الملاحة والجمال والحُسن والكمال ولم يُحقِّقه ببصره، لكن لاحت له لمحاتٌ منه على بُعْدٍ من الدَّار، فهيَّجت أشواقه إليه، وتعلَّقت الرُّوح به، فلا تزال الرُّوح مجذوبة إليه مُشتاقة إلى لقائه؛ وقد شغلها عن ذلك شواغل من أُمور الطبيعة، ولكنَّه متى صفا قلبه وخلا: هاج وتأجَّجت نيرانه، كما قيل[2]:

وما في الأرض أشقى من مُحبٍّ ... وإن وجد الهوى حُلو المذاق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (الوائح).

(٢) ذكرها أبو هلال العسكريُّ في [ديوان المعاني: (ص٢٥٧)]، وتمامهما:

وما في الأرض أشقى من مُحبٍّ ... وإن وجد الهوى حُلو المذاق
تراه باكياً في كُلِّ حينٍ ... مخافة فُرقةٍ أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التَّنائي ... وتسخن عينه عند التَّلاقي

وكما قيل[1]:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برقٌ تألَّق مُوهناً لمعانُه
يبدو لحاشية الرِّداء ودُونه ... صعبُ الذَّرى مُمتنعٌ أركانُه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يُطق ... نظراً[2] إليه وصدَّه سجَّانُه
فالنَّار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماء ما سفحت به أجفانُه

فمِثْل هذا إذا لم يكن له أُستاذٌ عارفٌ أو قرينٌ ناصحٌ يُرشده في حيرته: قد يُخشى عليه أن تقطعه الفاقات والمُجاهدات والرِّياضات؛ فينحرف لذلك مزاجه ويفسد حاله لانحراف مزاج قلبه فيفوته المطلوب، ومثل هذا يحتاج إلى سياسةٍ لطيفةٍ تتمُّ بها مصالحه في أُمور دينه ودُنياه وآخرته بمعونة الله وتوفيقه.

فأوَّل ذلك: دوام الالتجاء إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّه لا يُنجِّي من المهالك والمتالف في أسفار الدُّنيا والآخرة إلا الله، ولا يُوصل إلى الله إلا الله، هذا أوَّل الأمر وأساسه.

وليعلم أنَّ الجُوع المُفرط مُضرٌّ؛ كما أنَّ الشِّبع المُفرط مُضرٌّ، والخُروج من الأسباب الدُّنيويَّة[3] التي تتمُّ بها المعيشة مُضرٌّ؛ كما أنَّ الانهماك فيها والتَّكالب عليها مُضرٌّ.

❑❑❑

---

(١) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: ص٧٨].
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (نظر).
(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (الدُّنياويَّة).

فصلٌ

والأمر الذي يبلغ السَّالك به إلى المطلوب بمعونة الله: الأمر الوسط المُعتدل من الصَّوم والفطر؛ والجُوع والشِّبع؛ والتَّقشُّف والتَّنعُّم؛ والتَّسبُّب والتَّجرُّد.

أمَّا الصَّوم: فيكفيه صوم الأيَّام الفاضلة المشروع صومها، كالاثنين والخميس وأيَّام البيض وعرفة وعاشُوراء، وبعض هذا يكفيه إن عجز عن جميعه.

والجُوع والشِّبع: فليعتمد على أكل الأشياء الرَّطبة المولِّدة للأخلاط الصَّحيحة والدَّم الصَّحيح، كالمسلوقة واللَّبن أو الحليب والعسل المُرقَّق بالماء؛ يُغلى حتَّى يبقى كالدِّبس السَّائل، ومِثْل الفواكه النَّاضجة كالمشمش والبِطِّيخ والعنب وأمثاله، ويجتنب الأغذية المُولِّدة للسَّوداء[1]؛ إلا القليل منها، فإنَّ البدن لا يستغني عن ذوات الطُّعوم كالحامض والحِرِّيف[2] والمالح، فيتناول من الأغذية المُلائمة قدراً مُعتدلاً بين القليل والكثير، مثل أن يأكل حتَّى يكتفي ولا يمتلئ منه، وإذا شبع في يومه مرَّة فلا يشبع مرَّة أُخرى فيه؛ إلا إذا أصبح صائماً،

---

(١) السَّوداء: مرضٌ مقرُّه في الطُّحال، كما في: المُنجد في اللُّغة والأعلام، ومن الأغذية المُولِّدة للسَّوداء: التَّمر والباذنجان والعدس والكرنب (الملفوف) واللَّحم والسَّمن واللَّبن والجُبن العتيق والإكثار من الحُلو.

(٢) أي: الذي يُحذي اللِّسان ويلذعه بحرافته، وهُو كُلُّ ما يُحرق فم آكله بحرارةٍ.

لكن يأكل لُقيماتٍ خفيفة على القلب حتَّى يبقى فارغاً من ثقل الطَّعام، ولا يثقل الطَّعام على أحدٍ إلا ينحجب عن الصَّفاء والنُّور، فهذا حدُّ الأكل والمأكول وقانونه، والله المُوفِّق والمُعين.

وأمَّا التَّقشُّف والتَّنعُّم: فليستعمل من التَّنعُّم مثل الحمَّام والنِّكاح واللِّباس والطِّيب وغيره بقدر الحاجة؛ وبقدر ما يصلح به البدن؛ متى وجد البدن قد قشف وقحل أو قارب أن يتقشَّف: رطَّبه وغذَّاه، ومتى وجده قد كاد أن يقسوا ويغلظ: عدَّله بالتَّقلُّل من الشَّهوات والصَّوم؛ ويحوم حول الاعتدال في كُلِّ شيءٍ، فبذلك يكمل الأمر بمعونة الله تعالى، فإذا أعطى الجوارح حقَّها: فيشرع فيستوفي الحقَّ الذي عليها.

وأمَّا التَّسبُّب والتَّجرُّد: فلا يُشرع له ترك الأسباب؛ كما لم يُشرع له الحرص والتَّكالب عليها، لكن يسعى في أمرٍ يكفيه ويكفي عياله في عامه بالمعروف، ويُؤثر منه ويتصدَّق ويُعين الصَّالحين، ولا يحرص الحرص البالغ بحيث يستحوذ عليه الشَّيطان بحُبِّ الدُّنيا فيُنسيه ذكر الله تعالى، فيبقى كالذين نسوا الله فنسيهم، فينقطع بذلك عن الله تعالى، وكذلك التَّجرُّد عن الدُّنيا بالكُلِّيَّة: يُشغل النُّفوس بالحاجة والفاقة، وذلك حجابٌ أيضاً، وخير الأُمور أوساطها، والله المُوفِّق والمُعين.

❑ ❑ ❑

فصلٌ

وإذا وفَّقه الله تعالى للقيام بشَطْرَيِ الدِّين ـ المذكور أولاً ـ؛ ثُمَّ بسياسة النَّفس على قانون العدل من الصَّوم والفطر؛ والشِّبع؛ والتَّقشُّف؛ والتَّجرُّد والتَّسبُّب: فليسلك إن شاء الله تعالى؛ ليتحقَّق قلبه بذلك الذَّوق الذي وجده.

واعلم أنَّ كُلَّ حالٍ جاء بالجُوع ذهب بالشِّبع، أو حصل بالخلوة ذهب في الخُلطة في أغلب الأُمور.

ومن سلك طريقاً مُعتدلاً في أُمور معاشه وصلاح جسمه: استقام حاله بمعونة الله تعالى وتوفيقه، فإذا استقامت النَّفس على الاعتدال المذكور وتعوَّدته؛ واعتادت المُحاسبة ورعاية الجوارح واستقبال الحركات بالنِّيَّات الصَّالحة؛ والنُّصح في البيع والشِّراء وسائر المُعاملات، بحيث يُحبُّ العبد لأخيه ما يُحبُّه لنفسه، ويُرضي ربَّه في زوجه وإخوانه بما يتعاطاه[١] معهم من مكارم الأخلاق؛ وبشاشة الوجه وحُسن السِّيرة؛ وظُهور الرَّحمة من قلبه لهم وإرادة المصلحة لهم في سائر أُمورهم: فليشرع حينئذٍ في هذه الطَّريقة السَّهلة الخاصَّة إلى الله تعالى؛ بلا جُوعٍ مُفرطٍ ولا تقشُّفٍ مُضرٍّ تسيء به الأخلاق ويعطب بسببه الجوارح، لظُهور اليُبْس في بدنه والطَّيش في دماغه لانحرافه عن حدِّ الاعتدال.

❑❑❑

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يتعاتاه).

فصـلٌ

أوَّل هذه الطَّريقة السَّهلة: أن يعلم العبد أنَّ صلاح القُلوب وقُربها من الله إنَّما يكون بشُعورها بقُربه سُبحانه منها؛ إذا شعرت القُلوب بقرب الله منها؛ وبأنَّ الله يعلم سرَّها وخفيَّ هواجسها ودبيب خطراتها: استقامت القُلوب وصلحت وقربت من ربِّها.

ولا طريق أعدل من أن يجعل الإنسان لنفسه وقتاً يتخلَّى فيه عن الشَّواغل؛ إمَّا في اللَّيل أو النَّهار، ثُمَّ يجلس في موضعٍ خالٍ فيُصلِّي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من جميع الذُّنوب التي اجترحها في يومه ذاك أو ليلته ما علم من ذُنوبه وما لم يعلم، فإنَّ ما لا يعلمه من الذُّنوب أكثر ممَّا يعلمه.

فإذا تاب كذلك يشرع في التِّلاوة للقُرآن المجيد ويجعل نفسه كأنَّه بين يدي ربِّه تعالى، فكأنَّه يُناجي ربَّه تعالى بكلامه، وكأنَّ الرَّبَّ تعالى يسمع مُناجاته ويرى مكانه في هذه الحال، ويجتهد أن لا يخطر بقلبه غير معاني ما يتلو، فيجعل المعاني في محلِّ دبيب الخواطر، وهذا أنفع شيءٍ للسَّالكين من كثرة الصَّلاة والعبادة بلا قلبٍ، وليس بينهما نسبة؛ إلا شخصاً يتلو كلام الله تعالى ويجعل الحقَّ تعالى ناظراً إليه، ويجعل المعاني عوضاً عن حديث النَّفس في محلِّ دبيب الخواطر، وهذا أمرٌ لا يقوى عليه إلا من يُريد اللهُ أن يُقرِّبه ويصطنعه، والله المُوفِّق والمُعين.

❑❑❑

فصلٌ

فأوَّل ما يُفتح على من سلك هذه الطَّريقة بمشيئة الله تعالى وتوفيقه: أن يغيب قلبه في المعاني، وتلتذُّ الرُّوح بالمعاني كما تلتذُّ بالنَّسيم البارد في الهواجر الحارَّة، وهذا أوَّل الفُتوح.

ثُمَّ يُفتح له بعد ذلك شمُّ القلب لنسيم القُرب بعد شمِّه لنسيم معاني كلام الرَّبِّ تعالى، وحينئذٍ يشعر القلب بعظمة الله تعالى المُتكلِّم بالقُرآن، وهذه مرتبةٌ ثانيةٌ.

ثُمَّ يُرجى أن يُفتح له بعد ذلك سماع الكلام كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه، فإنَّه كان في الابتداء يقرأ القُرآن كأنَّما يقرؤه على الله تعالى؛ والله تعالى ناظرٌ إليه يسمع قرآنه، فيرقى من الرُّتبة إلى سماع الكلام كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه، ويشعر القلب بقُربه وعظمته، ويُكاشف في القُرآن بصفات المُتكلِّم من رحمته ولُطفه وعظمته وقهره وجلاله وكماله؛ ووعده ووعيده؛ وتخويفه وتحذيره وترغيبه؛ وغير ذلك من الصِّفات.

❑❑❑

فصلٌ

من فُتح له هذا القُرآن العظيم في التَّلاوة: فقد صار القُرآن ربيع قلبه وشفاء صدره وجلاء حُزنه؛ وطريقه إلى الله تعالى؛ وصراطاً مُستقيماً يُبلِّغه إلى قُرب الله بمعونته وتوفيقه.

❑ ❑ ❑

فصلٌ

واعلم أنَّ هذه الأذواق العظيمة ـ التي هي أذواق المُقرَّبين؛ ومشارب العارفين والمُحبِّين ـ لا يذوقها في كلام ربِّ العالمين من يَبِس مزاجهُ بالصَّوم والجُوع، فإنَّ الصَّوم والجُوع المُفرطيْن[1] يُؤثِّران في القلب اليُبْس والانحراف، ويبقى القلب جامداً كالحجر؛ لا يتصرَّف فيه القُرآن ولا يُؤثِّر فيه قوارعه؛ لغلبة حُكم اليُبْس عليه، ولا يناوله من الأحوال إلا مُمتزجاً بطبيعة اليُبْس، فيثور من باطنه عند الحال حدَّةٌ وصُراخٌ وانحرافٌ يستدلُّ بذلك على انحراف مزاجه.

وأمَّا صاحب المزاج المُترطِّب المُعتدل إذا شرع في التِّلاوة والخلوة؛ وثار له شيءٌ من هذه الموارد: يتصرَّف الموارد في قلبه، وينفعل القلب لها للطافته ورقَّته واعتدال مزاجه، ويغيب في الموارد ويستغرق فيها كما يستغرق من لاحت له شواهد محبوبه وأنس به وغاب به وبصفاته عن كُلِّ شيءٍ سواه، فإذا أفاق من ذلك: رجع إلى أعماله الباطنة والظَّاهرة ومساعي دُنياه التي لا يتمُّ صلاح جسمه إلا بها، وهذا هُو الأمر الكامل المُعتدل المُناسب لمألوف الصَّحابة والتَّابعين لهُم بإحسانٍ رضي الله عنهُم أجمعين.

❑❑❑

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (المُفرطان).

فصلٌ

ومن سلك هذا القانون وهذه الطَّريقة: كان حاله كمن عمَّر الدُّنيا بقيامه في مصالحه، وعمَّر الآخرة بقيامه بمأمورات ربِّه، وعمَّر مكارم الأخلاق بحُسن تأتِّيه مع أهله وإخوانه بما يُرضي ربَّه، وعمَّر منازل القُرب ومواطن الأُنس بدُخوله في طريقٍ قريبةٍ سهلةٍ إلى ربِّه، ومع هذا فجسده صحيحٌ رطبٌ؛ وقلبه خاشعٌ ليِّنٌ؛ وأخلاقه طيِّبةٌ زاكيةٌ؛ وزوجته راضيةٌ قد أعطاها ما تستحقُّه، وقام بما يُصلح نفسه ويُصلحها من حُقوق الله تعالى الواجبة، وإخوانه راضون بما بذل لهم من حُقوقهم المتأكِّدة عليه، وهذا هُو الكمال إن شاء الله تعالى، والله المُوفِّق والمُعين.

وأُصول ذلك وعُمدته: التَّوبة النَّصوح، والانتهاء عن منهيَّات الظَّاهر والباطن وسياسات النَّفس في العادات بمُقتضى العدل باستعمال الأمر الأوسط بين الإفراط والتَّفريط.

وعُمدة الطَّريقة: أن تصل معاني القُرآن إلى دبيب الخواطر، فمتى وصلت سهل الأمر وقرب بمشيئة الله ومعونته.

ونسأل الله الكريم أن يُوفِّقنا لما يُحبُّ منَّا، وأن يدلَّنا عليه من أقرب الطُّرق وأدلِّها عليه، وأن يُعافينا من تعب الطَّريق وطُولها، ولا يجعلنا ممَّن طوَّل عليه وابتلاه من أُمور دُنياه ممَّا فيه التَّعويق، آمين يا ربَّ العالمين.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليماً[1].

❑❑❑

---

(١) قال العبد الفقير إلى غنى ربِّه العليِّ؛ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ: ختمت الرَّسائل الثَّلاث في مسجد الله الحرام؛ بعد الفراغ من التَّراويح وأنا مُتسربلٌ بالإحرام، وذلك في سطح حرم الله تعالى أفضل المساجد؛ ومهوى فُؤاد كُلِّ طائفٍ وعاكفٍ وراكعٍ وساجدٍ، ليلة الجُمعة (١٩ رمضان ١٤٣٢هـ)؛ المُوافق (١٩ آب (أغسطس) ٢٠١١م).

وذلك بحُضور الأخ الجليل؛ ومُشاركة الصَّاحب النَّبيل: الشَّيخ عمَّار بن عبد الرَّحمن رمضاني؛ حفظه الله تعالى من كُلِّ سُوء وشرٍّ ومكروه، وآتاه من حسنة الدَّاريْن فوق ما يتمنَّاه ويرجوه.

وكان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في يوم الاثنين (٢٦ ذوالقَعدة ١٤٣٢هـ)؛ الموافق (٢٤ أُكتوبر (تشرين الأوَّل) ٢٠١١م).

فالحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين؛ وعلى آله الطيِّبين؛ وأزواجه المُطهَّرين؛ وأصحابه الغُرِّ الميامين؛ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وكتبه

وليد بن محمد بن عبد الله العلي

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة

١ ـ **الأعلام**: خير الدِّين الزِّرِكليُّ ـ دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة (١٩٨٩م).

٢ ـ **الإعلام بوفيَّات الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: رياض عبد الحميد مُراد؛ عبد الجبَّار زكَّار ـ مطبوعات مركز جُمعة الماجد للثَّقافة والتُّراث بدُبي ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٣ ـ **أعيان العصر وأعوان النَّصر**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان)؛ دار الفكر (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٤ ـ **الأنساب**: عبد الكريم بن مُحمَّد السَّمعانيُّ ـ تحقيق: عبد الله عُمر الباروديُّ ـ دار الجنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٥ ـ **إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٦ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: مُحمَّد مُرتضى الحُسينيُّ الزَّبيديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ مطبوعات المجلس الوطنيِّ للثَّقافة والفُنون والآداب (الكُويت/ دولة الكُويت) ـ الطَّبعة الأُولى.

٧ ـ **تاريخ التُّراث العربيِّ**: فُؤاد سزكين ـ نقله إلى العربيَّة: الدُّكتور/ محمود فهمي حجازي ـ مطبوعات جامعة الإمام مُحمَّد بن سُعود الإسلاميَّة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٨ ـ **تذكرة الحُفَّاظ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٩ ـ **التَّذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ النَّشرة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١٠ ـ تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة: صالح بن عبد العزيز آل عُثيمين البُرَديُّ ـ تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١١ ـ تهذيب اللُّغة: مُحمَّد بن أحمد الأزهريُّ ـ تحقيق: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ تقدَّمهم وقدَّم له: عبد السَّلام مُحمَّد هارون ـ المُؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والأنباء والنَّشر؛ الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة (القاهرة/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١٢ ـ توضيح المُشتبه: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: مُحمَّد نعيم العرقسوسيِّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٣ ـ الجامع لشُعب الإيمان: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ ـ حقَّقه وراجع نُصوصه وخرَّج أحاديثه: الدُّكتور/ عبد العليِّ عبد الحميد حامد ـ الدَّار السَّلفيَّة (بومباي/ الهند) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٤ ـ الجمع بين الصَّحيحيْن: مُحمَّد بن فُتوح الحُميديُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ علي حُسين البوَّاب ـ دار ابن حزم (بيروت/ لبنان)، توزيع دار الصُّميعيِّ (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

١٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصفهانيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

١٦ ـ الدُّرُّ المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة التَّوبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٧ ـ الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة: أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلانيُّ.

١٨ ـ الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: فهيم مُحمَّد شلتوت ـ مطبوعات مركز البحث العلميِّ وإحياء التُّراث الإسلاميِّ بجامعة أُمِّ القُرى (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

١٩ ـ ديوان المعاني: الحسن بن عبد الله بن مهران المعروف بأبي هلال العسكريِّ ـ شرحه وضبط نصَّه: أحمد حسن بسج ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٢٠ ـ **ذيل العبر**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢١ ـ **ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبد السَّلام تدمري ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢٢ ـ **الذَّيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب البغداديُّ ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٢٣ ـ **الرَّدُّ الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٢٤ ـ **رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه**: تحقيق: عبد الله بن مُحمَّد المُديفر: ضمن مجموع الرَّسائل للإمام أبي عبد الله مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قيِّم الجوزيَّة ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبد العزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة ـ دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٥هـ).

٢٥ ـ **رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب**: إبراهيم بن مُحمَّد بن ضُويَّان ـ تحقيق: عُمر بن غرامة العمرويِّ ـ دار الفكر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٦ ـ **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**: مُحمَّد بن عبد المُنعم الحميريُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ إحسان عبَّاس ـ مكتبة لبنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٤م).

٢٧ ـ **سنن ابن ماجه**: مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ المعروف بابن ماجه ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٢٨ ـ **سُنن أبي داود**: سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٢٩ ـ **سُنن التِّرمذيِّ**: مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٠ ـ **سُنن النَّسائيِّ**: أحمد بن شُعيب النَّسائيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣١ ـ **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**: عبد الحيِّ بن العماد الحنبليُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٣٢ ـ **شرح صحيح مُسلم**: يحيى بن شرف النَّوويُّ ـ دار الرَّيَّان للتُّراث (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٣٣ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عُمر بن سُليمان الحفيان ـ مكتبة العُبيكان (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٣٤ ـ **صحيح البُخاريِّ**: مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ ـ تحقيق: مُحمَّد علي القُطب ـ المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣٥ ـ **صحيح مُسلم**: مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ ـ حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٣٦ ـ **صفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة**: علويُّ بن عبد القادر السَّقَّاف ـ دار الهجرة للنَّشر والتَّوزيع (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٣٧ ـ **طبقات الأولياء**: عُمر بن عليِّ المصريُّ المعروف بابن المُلقِّن ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٣٨ ـ **طبقات الصُّوفيَّة**: مُحمَّد بن الحُسين بن مُوسى المعروف بأبي عبد الرَّحمن السُّلميُّ ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٩ ـ **العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد حامد الفقي ـ مكتبة المُؤيِّد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٤٠ ـ **عُلماء الحنابلة من الإمام أحمد (المُتوفَّى سنة ٢٤١هـ) إلى وفيَّات عام ١٤٢٠هـ رحمهم الله تعالى**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ).

٤١ ـ **العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ).

٤٢ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ**: أحمد بن عليِّ بن حجرٍ العسقلانيُّ ـ رقَّم كُتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: مُحبُّ الدِّين الخطيب، راجعه: قُصي مُحبُّ الدِّين الخطيب ـ دار الرَّيَّان للتُّراث (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

٤٣ ـ **فهرس مخطوطات دار الكُتبِ الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)**: وضعه: مُحمَّد رياض مالح ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٤٤ ـ **القاموس المُحيط**: مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٤٥ ـ **القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة**: مُحمَّد بن عليِّ بن طُولون الصَّالحيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد أحمد دهمان ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

٤٦ ـ **كتاب الرُّؤية**: عليُّ بن عُمر الدَّارقُطنيُّ ـ قدَّم له وحقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: إبراهيم مُحمَّد العليُّ؛ أحمد فخري الرِّفاعيُّ ـ مكتبة المنار (الزَّرقاء/ المملكة الأُردنيَّة الهاشميَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٤٧ ـ **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: مُصطفى بن عبد الله المعروف بحاجِّي خليفة ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٤٨ ـ **كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: ربيع بن أحمد خلف ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٤٩ ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجبٍ الدِّمشقيُّ ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان).

٥٠ ـ **اللُّباب في تهذيب الأسماء**: مُحمَّد بن مُحمَّدٍ الشَّيبانيُّ المعروف بابن الأثير الجزريِّ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٥١ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: جمع وترتيب: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن قاسم وساعده ابنه مُحمَّد ـ مُجمَّع الملك فهد لطباعة المُصحف الشَّريف (المدينة المُنوَّرة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

٥٢ ـ **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيل ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٥٣ ـ **المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبلٍ وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٥٤ ـ **مدخل أهل الفقه واللِّسان إلى ميدان المحبَّة والعرفان**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

٥٥ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان**: عبد الله بن سعد اليافعيُّ ـ دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٦ ـ **مُسند الإمام أحمد بن حنبلٍ**: أحمد بن حنبلٍ الشَّيبانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: شُعيب الأرنؤوط ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٧ ـ **مُسند الشَّاميِّين**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفيُّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٥٨ ـ **المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: عليُّ بن مُحمَّد البجاوي ـ الدَّار العلميَّة (دلهي/ الهند) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٧م).

٥٩ ـ **مُعجم البُلدان**: ياقوت بن عبد الله الحمويُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٦٠ ـ **مُعجم الشُّيوخ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد الحبيب الهيلة ـ مكتبة الصِّدِّيق (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦١ ـ **المُعجم الكبير**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفيُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ ـ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٢ ـ **مُعجم المُؤلِّفين**: عُمر رضا كحَّالة ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٣ ـ **مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: عبد الله بن عبد العزيز البكريُّ ـ تحقيق: مُصطفى السَّقَّا ـ عالم الكُتب (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٦٤ ـ **مُعجم مُصنَّفات الحنابلة من وفيَّات (٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ)**: الأُستاذ الدُّكتور/ عبد الله بن مُحمَّد الطُّريقيُّ ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٦٥ ـ **مفتاح طريق الأولياء**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠ه ـ ١٩٩٩م).

٦٦ ـ **المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن**: القاسم بن مُحمَّد البرزاليُّ ـ تحقيق: الأُستاذ الدُّكتور/ عُمر سُليمان تدمري ـ المكتبة العصريَّة (صيدا ـ بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٦٧ ـ **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: إبراهيم بن مُحمَّد بن مُفلح المقدسيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٦٨ ـ **المُنجد في اللُّغة والأعلام**: دار المشرق (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة والعشرون (١٩٨٦م).

٦٩ ـ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: جماعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: عبد القادر الأرناؤوط ـ

دار صادر (بيروت/ لبنان)؛ توزيع مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٩٩٧م).

٧٠ ـ **المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد مُحمَّد أمين ـ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٩٨٤م).

٧١ ـ **النَّصيحة في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الرَّابعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٧٢ ـ **هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٧٣ ـ **الوابل الصَّيِّب ورافع الكلم الطَّيِّب**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد الرَّحمن بن حسن بن قائد ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبد العزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة ـ دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٥هـ).

٧٤ ـ **الوافي بالوفيَّات**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: س. ديدرينغ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان).

❑❑❑

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مُقدِّمة المُحقِّق	٣
تعريفٌ بالمُؤلِّف	٦
اسمه ونسبه	٦
ولادته ونشأته	٨
مُعتقده ومسلكه	٩
مذهبه الفقهيُّ	١٢
ثناء العُلماء عليه	١٣
مُولَّفاته	١٥
نظمه	٢١
وفاته	٢٢
تعريفٌ بالمُؤلَّف	٢٤
رسائل المُؤلَّف	٢٤
نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف	٢٤
موضوع المُؤلَّف	٢٥
مصدر المُؤلَّف	٢٨
نماذج صور من المخطوط	٢٩

الرِّسالة الأُولى:

مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطَّلب والإرادة

مقدمة الرسالة	٣٧
الفصل الأوَّل: في المبادئ	٤٧

الفصل الثَّاني: في الأُمور التي يعتني بها صاحب هذا الحال ٤٩
الفصل الثَّالث: في بيان المطلوب حقيقة هُو في الكتاب والسُّنَّة دُون غيرهما من الأشياء والطُّرق ٥٣
الفصل الرَّابع: في أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين لا يستقيم أمرهم إلا بها ولا ينفذون إلى دينهم إلا بمعرفتها وتحقيقها ٥٧
الفصل الخامس: في كيفيَّة التَّرقِّي إلى علم صفة الرُّبوبيَّة بعد إحكام صفة الإلهيَّة ٦٨
الفصل السَّادس: في بيان الكشف عن صفة المعيَّة الخاصَّة ٧١
الفصل السَّابع: في بيان الكشف عن حال الجمع ٧٢
الفصل الثَّامن: في لواحق بها يكمل الكتاب ٧٥
خاتمة الكتاب ٧٨

الرِّسالة الثَّانية:
مفتاح الطَّريق إلى سُلوك التَّحقيق

مقدمة الرسالة ٨٧
فصلٌ: ثُمَّ يُلْزِم نفسه بالمُحاسبة في حركاته وسكناته ٩١
فصلٌ: ويُراعي أحكام الصَّلوات الخمس ٩٦
فصلٌ: ومن الأدب في التِّلاوة: الحُضور والفهم والشُّعور بأنَّ القُرآن رسالة الله إلى كُلِّ عبدٍ ٩٩
فصلٌ: وعلى السَّالك أن يتعلَّم رُبع العبادات وغيره ممَّا يفتقر دينه إليه ١٠٢
فصلٌ: وعلى الطَّالب أن يعبد الله تعالى بالنُّصح له وإتقان الأعمال ١٠٣
فصلٌ: وعلى المُريد استعمال الطَّريق الوسط بين الإفراط والتَّفريط ١٠٥
فصلٌ: فإذا استعان العبد بربِّه؛ واستعمل ما في هذه الكُرَّاسة؛ وعامل الله عزَّ وجلَّ بها مُجتهداً مُخلصاً: فقد صار له طريقٌ إلى ربِّه ١٠٦

الرِّسالة الثَّالثة:
مفتاح طريق المُحبِّين وباب الأُنس بربِّ العالمين

مقدمة الرسالة ١١١

أول السير في هذا الطريق ١١٢

فصلٌ: ومتى تنقَّى القلب من مِثل هذه الخبائث والرَّذائل: طهر ١١٤

فصلٌ: وأمَّا الشَّطر الآخر من الدِّين: فهُو القيام بالأوامر ١١٥

فصلٌ: والمرتبة الثَّانية من السُّلوك: فهي الطَّلب والإرادة والشَّوق إلى الوُصول والقُرب ١١٩

فصلٌ: والأمر الذي يبلغ السَّالك به إلى المطلوب بمعونة الله: الأمر الوسط المُعتدل ١٢١

فصلٌ: وإذا وفَّقه الله تعالى للقيام بشَطْرَيِ الدِّين ثُمَّ بسياسة النَّفس على قانون العدل ١٢٣

فصلٌ: أوَّل هذه الطَّريقة السَّهلة: أن يعلم العبد أنَّ صلاح القُلوب وقُربها من الله إنَّما يكون بشُعورها بقُربه سُبحانه منها ١٢٤

فصلٌ: فأوَّل ما يُفتح على من سلك هذه الطَّريقة بمشيئة الله تعالى وتوفيقه: أن يغيب قلبه في المعاني وتلتذُّ الرُّوح بالمعاني ١٢٥

فصلٌ: من فُتح له هذا القُرآن العظيم في التِّلاوة: فقد صار القُرآن ربيع قلبه ١٢٦

فصلٌ: واعلم أنَّ هذه الأذواق العظيمة لا يذوقها في كلام ربِّ العالمين من يَبِس مزاجهُ ١٢٧

فصلٌ: ومن سلك هذا القانون وهذه الطَّريقة: كان حاله كمن عمَّر الدُّنيا بقيامه في مصالحه، وعمَّر الآخرة بقيامه بمأمورات ربِّه ١٢٨

الخاتمة ١٢٩

قيد القراءة والسماع بالمسجد الحرام (تعليق) ١٢٩

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة ١٣٠

فهرس الموضوعات ١٣٨

❑❑❑

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام

المجموعة الرابعة عشرة

رمضان ١٤٣٢هـ

المجلد الثاني

١٧٥- مفتاح المعرفة والعبادة — لابن شيخ الحزاميين

١٧٦- مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق — لابن شيخ الحزاميين

١٧٧- مفتاح طريق المحبين — لابن شيخ الحزاميين

١٧٨- صوارم البراهين — للجريسي

١٧٩- تخميس أبيات في التوحيد — للعباسي

١٨٠- النفح المسكي — للعجيمي

١٨١- السراج المنير — للكرمي

١٨٢- بغية الطلب — للخانجي

١٨٣- فتح الرحيم الصمد — للسجاعي

١٨٤- مقام الرشاد — لفيصل آل مبارك

١٨٥- الضابطية للشاطبية — لعلي القاري

١٨٦- حلاوة الرز — للخليجي

١٨٧- قطع اللجاج — للخليجي

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام

المجموعة الرابعة عشرة

رمضان ١٤٣٢هـ

المجلد الثاني

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م
بيروت ـ لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com